التمثيل باللفظ المفرد
دراسة بلاغية تطبيقية

إعداد

د / لطفى خالد محمود الجوهرى

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بكلية الدراسات
الإسلامية والعربية بنين بالديدامون شرقية

التمثيل باللفظ المفرد دراسة بلاغية تطبيقية

لطفى خالد محمود الجوهرى
أستاذ مساعد ، قسم البلاغة والنقد ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بالديدامون شرقية، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: **LotfiElgohary.sha.b@azhar.edu.eg**

ملخص البحث

بين يدي القارئ الكريم "التمثيل بالفظ المفرد"، وهو بحث يبين عن إحدى قدرات لغتنا الباهرة، وكيف أن البيان قد يأتي على اللفظة المفردة فينفث فيها من سحره فإذا بها حية نابضة .

وقضية التمثيل باللفظ المفرد اختلف حولها العلماء، وكان أشهر ما يكون بين العالمين الفاضلين سعد الدين التفتازاني، والسيد الشريف الجرجاني، حتى قيل: إنه أشهر من (قفا نبك)، فكان حديث السمار، وسار به الركبان.

وقد أراد الباحث أن يخوض غمار تلك القضية، وهو إذ يقول برأي من قال بالتمثيل باللفظ المفرد فقد طبق لذلك بأنواع اللفظ المختلفة (الاسم، والفعل، والحرف)، وجعل لكل نوع من ذلك مبحثاً خاصاً به، كما بين إجراء التمثيل في كل ذلك .

الكلمات المفتاحية:

الاستعارة، التمثيل، السعد التفتازاني، الشريف الجرجاني.

Representation in the singular
An applied rhetorical study

Lotfy Khaled Mahmoud El Gohary
Assistant Professor of Rhetoric and Criticism, College of Islamic and Arabic Studies, Benin, Damamon Sharqia
LotfiElgohary.sha.b@azhar.edu.eg

Abstract: In the hands of the honorable reader, "acting with singular pronunciation", which is a research that shows one of the abilities of our dazzling language, and how the statement may come on the single word, and it is breathed into it from its magic So it has a vibarant lively.
The issue of acting with the singular word was disputed by the scholars, and the most famous among the virtuous worlds was Saad al-Din al-Taftazani, and al-Sharif al-Jarjani, until it was said: It is the most famous of (Qafa Nabak), so the hadith of al-Samar, and the stirrups followed.
The researcher wanted to delve into the issue, and he says that in the opinion of those who said representation in a single word, it was applied to that with different types of pronunciation (name, verb, and letter), and he made for each type of that a special topic of his own, as he showed the representation in all of that .

Key words: Metaphor, representation, Saad Al-Taftazani, Al-Sharif Al-Jarjani.

المقدمة

الحمد لله الذى ضرب لعباده الأمثال والعبر، وجعلها آية لمن تفكر واعتبر، والصلاة والسلام على من انشق له القمر، خير قدوة للبشر سيدنا محمد . ﷺ . وعلى آله وأصحابه أولى الفضل والسَّيَر، وعلى من سار على نهجِهم، واقتفى الأثر.

وبعـــد ،،،

فالتشبيه والتمثيل من أقدم فنون البلاغة، وإن العرب أناس قد وضعوا بيوتهم وأبنيتهم وسط السباع والأحناش والهمج والحشرات، ولذا قالوا: إن فلانا له جرأة الأسد، ووثوب النمر، وروغان الثعلب وختل الفهد، وصولة الجمل، وحملة الثور، وغدر الذئب، وحفاظ الكلب، وعقوق الضب، وجمع الدَّرّ، وهداية الحمام، وحماقة الضبع، وحسن الصِّفرد، وغباوة الديك، وتحنن الدجاجة، وبرالهرّ . [1]

كما يروى أن رجلا دعا لبعض الملوك فقال: جعل الله جرأتك جرأة الذباب، وقوتك قوة نملة، وكيدك كيد امرأة، فغضب الملك من قوله، فقال :على رسلك أيها الملك، إنه يبلغ من جرأة الذباب أنه يقع على أنف الملك، ويبلغ من قوة النملة أنها تحمل أضعاف وزنها، والفيل لا يستقل بذلك، ويبلغ من كيد المرأة أنها تغلب دهاة الرجال.[2]

وقيل لبزّرِ جمهر: بم أدركت ما أدركت فقال: ببكور كبكور الغراب، وحرص كحرص الخنزير، وسعى كسعى الذئب، وصبر كصبر السّنّور. [3]

---

(١) ينظر: الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة للمؤلف حمزه بن الحسن الأصبهانى تحقيق/ عبدالمجيد قطامش ٦٠/١ دار المعارف بمصر ١٩٧٢م

(٢) المصدر السابق ٦١/١

(٣) المصدر السابق ٦٢/١

وللتشبيه التمثيلى الحظ الأوفى عند أهل البلاغة، فهو من أخص أنواع التشبيه، لأنه تشبيه هيئة بهيئة، فهو أوقع فى النفوس وأجلى للمعانى[١]

وتقرر فى علم البيان أن أهله اشد حرصا على اعتبار تشبيه الهيئة (التمثيل) فلا يعدلون عنه إلى المفرد مهما استقام اعتباره، ولهذا يقول الإمام عبدالقاهر الجرجانى عند ذكر بيت بشار بن برد:

كأن مثار النقع فوق رءوسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

قصد تشبيه النقع والسيوف فيه بالليل المتهاوية كواكبه، لاتشبيه النقع بالليل من جانب والسيوف بالكواكب من جانب .[٢]

والتصوير والتمثيل انما يسلك، ويصار إليه لإبراز المعانى المحتجبة، ورفع الاستار عن الرموز المكنونة لتظهر فى صورة المشاهد المحسوس، فيساعد فيه الوهم العقل، ويصالحه عليه .[٣]

والتمثيل منزع من منازع البلغاء لا يبلغ الى محاسنه غير خاصتهم[٤] فمن لنا بمثل قول الأعشى: [٥]

لأعرفنــك إن جد النفير بنا ... وشبت الحرب بالطواف واحتملو

كناطح صخرة يوما ليوهنها ... فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير تأليف سماحة الاستاذ الشيخ / محمد الطاهر بن عاشور ٢٤٤/١ دار سحنون للنشر . تونس

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز تأليف الشيخ الامام / أبى بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجانى النحوى ص/٤١٤ قرأه وعلق عليه /أبوفهر محمود محمد شاكر مطبعة المدنى . القاهره الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ /١٩٩٢ م

(٣) ينظر: شرح الطيبى على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن للإمام/ شرف الدين الحسين بن محمد بن عبدالله الطيبى ٣٦٣/١ تحقيق ابوعبدالله محمد على سمك دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ /٢٠٠١ م.

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ٣٠٢/١.

(٥) ديوان الأعشى الكبير ص /١٣١ شرحه وقدم له /مهدى محمد ناصر الدين دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧ م.

فشبه الشاعر هيئة الذى يطلب ويرجو من الأشياء مالا يستطيع الوصول إليه، فيتعب نفسه، ويخيب أمله ولا يظفر بشيء، بهيئة التيس الذى ينطح بقرنه صخرة صلبة ليضعفها ويفتتها فلا يؤثر فيها، ويرجع وقد أتعب نفسه وآذى قرنه.

ولفظ التميثل لفظ يشترك بين التشبيه التمثيلى ،والاستعارة التمثيلية، ومن المعلوم أن الاستعارة التمثيلية مبنية على تشبية التمثيل ،ولكن لفظ (التمثيل) إذا أطلق انصرف إلى الاستعارة التمثيلية، فإذا أريد التشبيه ذو الوجه المركب قيل: تشبية التمثيل، أو تشبيه تمثيلي.

لذا جاء البحث تحت عنوان **(التمثيل باللفظ المفرد دراسة بلاغية تطبيقية)** إذ البحث يحاول أن يقدم للقارئ الكريم الاستعارة التمثيلية ذات الصورة المركبة من أجزاء وهى متشحة بثوب اللفظ المفرد، ويمكن إيجاز أهم الأسباب التى حدت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع فيما يلى:

١. ما للتمثيل من دور بارز فى تجلية المعانى المحتجبة .

٢ـ ما لهذا الموضوع من طرافة وغرابة إذ كيف يتاتى التمثيل ذو الصورة المركبة بلفظ مفرد .

٣. دقة هذا المسلك وخفائه .

٤. التعرف على اللفظ المفرد الصالح للدلالة على الصورة المركبة .

هذا ،وقد اقتضت طبيعة البحث أن تأتى الخطة مشتملة على: مقدمة ،و تمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة ،وفهارس .

فى المقدمة: بينت ألاسباب التى كانت وراء هذا البحث، وذكرت بها الخطة التى قامت عليها تلك الدراسة .

وفى التمهيد: قمت بتعريف التمثيل لغة واصطلاحا ، والمقصود بالتركيب عند البلاغيين وآراء العلماء فى التمثيل باللفظ المفرد، ثم جاءت مباحث تلك الدراسة كالتالى: المبحث اول: رؤية فنية للإستعارة التمثيلية.

المبحث الثانى: التمثيل باللفظ المفرد (الفعل).

المبحث الثالث: التمثيل باللفظ المفرد (الاسم).

المبحث الرابع: التمثيل باللفظ المفرد (الحرف).

ثم فى الخاتمة: عرض لأهم نتائج تلك الدراسة.

وفى الفهارس: قمت بعمل فهارس فنية :

أولا: فهرس المصادر والمراجع.

ثانيا: فهرس الموضوعات.

التمهـــــــــيد

التمثيل فى اللغة هو:

يقال مثّل لـه الشـيء: صـوره وكأنـه ينظـر إليـه، وامتثلـه هـو: تصـوره، والمثـال معروف والجمع: أمثلة ومُثُل، ومثلت له كذا تمثيلا: إذ صورته له مثاله بكتابة وغيرها. وفى التماثيل، وأصله من مثلت الشيء الشيء إذا قدرته على قدره، ويكون تمثيل الشيء بالشيء تشبيها به . ويقال امتثلت مثال فلان أى: احتذيت حذوه، وسلكت طريقته [١] . ومن ثَمَّ فالتمثيل يراد به التصوير، والتشبيه، والتقدير، والاحتذاء .

المراد بالتمثيل عند البلاغيين :

إذا أطلق لفظ التمثيل عند البلاغيين انصرف الى الاستعارة التمثيلية خاصة، ولذا يقول صاحب التلخيص:" وهذا التمثيل على سبيل الاستعارة، وقد يسمى التمثيل مطلقاً "[٢]، وعلق صاحب المطول على معنى الإطلاق فقال: "من غيرالتقييد بقولنا على سبيل الاستعارة ويمتاز عن التشبيه بأن يقال له: تشبيه تمثيل أو تشبيه تمثيلى"[٣]، واعترض على ذلك ابن كمال باشا فقال: "لم يصب صاحب التلخيص في قوله: وقد تسمي التمثيل مطلقا لأن المسمى بالتمثيل مطلقا هو التشبيه التمثيلى لا الاستعارة التمثيلية، فإنها مسماة بالتمثيل على سبيل الاستعارة لا بالتمثيل"[٤].

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور مادة : مثل دار المعارف

(٢) التلخيص فى علوم البلاغة للإمام/ جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزوينى المعروف بالخطيب القزوينى ص/٨٨ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١ م

(٣) المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم للعلامة / سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى ص /٦٠٤.

(٤) الرسالة البيانية تأليف الشيخ /أبى العرفان محمد على الصبان ص / ٢٣٦ تحقيق د/ مهدى أسعد عرار دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠١ م.

بينما الذي عليه البلاغيون أن التمثيل يراد به الاستعارة التمثيلية، ولذا قال القونوى فى حاشيته: " المراد بالتمثيل الاستعارة التمثيلية، غلب عليها اسم التمثيل بين أرباب الفن، وصاحب الكشاف لا يطلقه إلاعليها"(١).

وقال الشهاب فى حاشيته : " الاستعارة تستعمل بمعنى المجاز مطلقاً، وبمعنى مجاز علاقته المشابهة مفرداً كان أو مركباً، وقد تختص بالمفرد منه، وتقابل بالتمثيل، كما فى مواضع كثيرة من الكشاف، والتمثيل غلب على الاستعارة المركبة " (٢)، وبهذا يعلم اندفاع اعتراض ابن كمال باشا على صاحب المطول (٣) .

وإنما خصت الاستعارة التمثيلية بلفظى التمثيل والتمثيلية مع أن فى كل استعارة تمثيلاً أى: تشبيهاً، مبالغةً فى التنويه بشأنها حتى كأن ماعداها ليس فيه تمثيل؛ لأنها مثار فرسان البلاغة حتى أنه لايرضى من ذاق حلاوة البيان ولو بطرف اللسان أن يأتى بالاستعارة المفردة مع إمكان المركبة " (٤) .

والمقصود بالاستعارة التمثيلية عند الخطيب القزوينى: " اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلى تشبيه التمثيل للمبالغة فى التشبيه " (٥) .

---

(١) حاشية القونوى على تفسير الإمام البيضاوى لعصام الدين إسماعيل بن محمدالحنفى ٥٥/٢ ضبطه وصححه وخرج آياته /عبدالله محمود محمد عمر دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى المسمى عنآية القاضى وكفآية الراضى لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصرى الحنفى ٢٨٠/١ دار صادر بيروت.

(٣) ينظر: حاشية الشيخ /محمد الإنبابى على رسالة العلامة الشيخ / محمد الصبان فى علم البيان ص/٤٤٦ بالمطبعة الاميرية . بولاق . مصر الطبعة الأولى ١٣١٥ هـ .

(٤) ينظر: الرسالة البيانية ص /٢٣٦

(٥) ينظر: الإيضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى ١٠٧/٥ شرح وتعليق وتنقيح د / محمد عبدالمنعم خفاجى، دار الجيل بيروت الطبعة الثالثة.

أو بعبارة أخرى: " اللفظ المركب المستعمل فى غير المعنى الذى وضع له لعلاقة المشابهة بين الهيئة المستعار منها والهيئة المستعار لها، وقرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى" (١) .

وعرفها السكاكى بقوله: " استعارة وصف إحدى صورتين منتزعتين من أمور متعددة لوصف اخرى " (٢) .

المراد باللفظ المركب:

المراد باللفظ بالمركب عند الخطيب القزوينى ومن تبعه: هو المعنى المشهور له وهو مايدل جزؤه على جزء معناه ، ومن ثم يرى أصحاب هذا الرأى أن اللفظ المستعار في الاستعارة التمثيلية لايصح أن يكون مفردا (٣) .

بينما يرى السكاكى ومن تبعه أن اللفظ المركب هو ماكان منتزعا من متعدد، ويصح أن يعبرعن هذا المتعدد باللفظ المفرد(٤) .

(١) ينظر: الرسالة البيانية ص /٢٣٥ ، ٢٣٦

(٢) مفتاح العلوم لأبى يعقوب يوسف السكاكى ص/٤٨٤ تحقيق د/عبدالحميد هنداوى دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٠ م

(٣) ينظر: الإيضاح ١٠٧/٥ ، والحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم تأليف /السيد الشريف أبى الحسن بن محمد بن على ص/٣٨٢ ،قرأه وعلق عليه الدكتور/ رشيد أعرضى دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ /٢٠٠٧ م

(٤) ينظر: مفتاح العلوم ص / ٤٨٤،والرسالة البيانية ص / ٢٤١، والأطول للعلامة / إبراهيم بن محمد بن عربشاة عصام الدين الحنفي ٢/ ٣١٦،٣١٧،تحقيق د / عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – / ٢٠٠١م

المبحث الأول

رؤية فنية للاستعارةالتمثيلية

إذا جاءت الاستعارة بلفظ مركب على المعنى المشهور للتركيب وهوما يدل جزؤه علي جزء معناه، فهذا لاخلاف عليه بين العلماء فى كونه استعارة تمثيلية، سواء كان اللفظ المستعار مستوفيا أو غير مستوف أجزاء المستعار له.

ومما جاءت فيه الاستعارة التمثيلية بلفظ مستوف أجزاء المستعار له ويصلح كل جزء فيها أن يكون بإزاء حزء منه، قولك للرجل الذى يتردد فى أمرما: **أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى**، فشبهت هيئة المتردد فى أمره بين الإقدام عليه والإحجام عنه بهيئة من قام ليذهب، فتارة يعقد النية على الذهاب، فيقدم رجلا وتارة يعدل فيؤخرها ثانية، ووجه الشبه هو الهيئة الدالة على الحيرة والتردد فى كل [1] .، فاللفظ المستعار قد جاء مستوفياً أجزاء المستعار له، إذ جاء تقديم الرجل بإزاء الإقدام، وتاخيرها بإزاء الإحجام، وجاء وجه الشبه هيئة منتزعة من هذه الأمور المتعددة، ولم يخل أمر من الأمور إلا وجاء ممثلا باللفظ المستعار ومن ذلك قول الشاعر :[2]

ولما رأيت النسر عزّ ابن دأية ... وعشش فى وكريه جاشت له نفسى

حيث شبه هيئة الشيب والشعر الأبيض حينما غلب الشباب والشعر الأسود، وحل محله بهيئة النسر الذى غلب الغراب وحل فى وكره، ووجه الشبه هو: الهيئة الدالة على حلول البياض محل السواد فى كل .

فاللفظ المستعار قد جاء مستوفيا أجزاء المستعار له، ويصلح كل جزء منها أن يكون تشبيها مستقلا، فيشبه الشيب بالنسر، ويشبه الشعرالفاحم بالغراب،

---

(١) ينظر : الإيضاح ١٠٩/٥ ، والمنهاج الواضح د /حامد عونى ١٤٥/١ المكتبة الأزهرية للتراث.

(٢) ديوان الكميت الأسدى جمع وشرح وتحقيق د/محمد نبيل طريفى ص/٢٣٦ دار صادر . بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م.

والتعشيش لإحلال أحدهما محل الآخر، والوكران الرأس واللحية، وقد جاء وجه الشبه منتزعا من كل تلك الأجزاء، فجاء اللفظ المستعار مستوفياً كل أجزاء المستعار له .[١]

هذا وقد يأتى التصريح فى الاستعارة التمثيلية بلفظ مستوف أجزاء المستعار له، ولكن لا يصلح كل جزء منها أن يكون تشبيها مستقلا، وهذا أكثر من سابقه وهو أيضا لا خلاف عليه بين العلماء، ومن ذلك قول القائل: **مازال يفتل فى الذروة والغارب حتى بلغ ما أراد منه .**

وهو مثل يقال فيمن يعمل الحيلة، فيرفق بصاحبه ويلاطفه حتى يميل إلى مايريد، وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبهت حال من يلاطف صاحبه حتى يفعل له مايريد، بحال من يأتى للبعير الحرون فيحكه، ويفتل له الشعر فى ذروته وغاربه حتى يسكن ويستأنس، بجامع الهيئة الدالة على المماكرة والمخادعة فى كل[٢] .

ولا يقصد من ذلك أن يشبه الصاحب بالبعير ولا الملاطفة، بالفتل ولكن منظور فيها إلى الهيئة الكلية، وتمثيلها دون التعرض إلى أجزائها، وإلا فما الذى سيقابل الذروة والغارب فى جانب المستعار له، ولذا يقول الإمام عبدالقاهر الجرجانى: " وكذلك قولهم مازال يفتل فى الذروة والغارب، الشبه مأخوذ مابين الفتل وما تعدى إليه من الذروة والغارب، ولو أفردته لم تجد شبها بينه وبين ما يضرب هذا الكلام مثلاً له لأنه يضرب فى الفعل أو القول يصرف به الإنسان عن الامتناع عن الإجابة، وإلى موافقتك والمصير إلى ما

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل للإمام/ جارالله محمود بن عمر الزمخشرى ٧١/١ دار الكتاب العربى بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

(٢) ينظر : المنهاج الواضح ١٣٩/٥

تريد منه وهذا لايوجد فى الفتل من حيث هو فتل، وإنما يوجد فى الفتل إذا وقع فى الشعر من ذروة البعير وغاربه".[١]

ومن ذلك أيضا قول الشاعر: [٢]

إذا جاء موسى وألقى العصا ... فقد بطل السحر والساحر

وهو مثل يضرب لمن يتضاءل شأنه عند وجود من هو أجل شأناً، وتقرير الاستعارة فيه أن يقال: شبهت هيئة من يقل شأنه عند وجود الأجل شأنا بهيئة سحرة فرعون وقد أخفقوا فى سحرهم عند مجئ موسى –عليه السلام– وإلقائه العصا، والجامع الهيئة الحاصلة من ضآلة الشئ الحقير بجانب الشىء العظيم الخطير.[٣]

ولا يقصد من ذلك أن يشبه الأجلّ شأنا بموسى . عليه السلام . ولا تشبيه الأقل شأنا بسحرة فرعون، وإنما المقصود تمثيل الهيئة المركبة من كل ذلك دون نظر إلى أجزائها.

ومنه أيضا قولهم فيمن هلك: **سال به الوادى**، وقولهم فيمن طالت غيبته: **طارت به العنقاء**، وليس للوادى ولا للعنقاء عمل فى هلاكه ولا فى طول غيبته و إنما هو تمثيل، مثلت حاله فى هلاكه بحال من سال به الوادى، وفى طول غيبته بحال من طارت به العنقاء. [٤]

---

(١) أسرار البلاغة لأبى بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الفارس الجرجانى ص/١٠٧ وعلق عليه /محمد محمود شاكر مطبعة المدنى بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ /١٩٩١م.

(٢) التمثيل والمحاضرة المؤلف/عبدالملك بن محمد بن إسماعيل أبومنصور الثعالبى المحقق /عبدالفتاح محمد الحلو الدار العربية للكتاب .

(٣) ينظر: المنهاج الواضح ٣/٣١٢

(٤) ينظر: حاشية الشهاب ١/٢٨٥

وقد يأتى التصريح فى الاستعارة التمثيلية بلفظ غير مستوف أجزاء المستعار له، فيظهر بعضها ويضمر بعضها ويجعل ما صرح به دليلا على ما أضُمِرَ وأُخفِي .

ومن ذلك قال تعالى: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴾ (١)

ففى قوله تعالى: ﴿ فإذا نزل بساحتهم ﴾ استعارة تمثيلية، حيث شبهت هيئة حصول العذاب لهم بعدما أنذروا به بهيئة جيش عدو نزل فى ساحتهم بعد أن أنذرهم النذير العريان، فلم يأخذوا أهبتهم حتى أناخ بهم .(٢)

فإذا نظرنا إلى اللفظ المستعار وجدناه لم يأت على جميع أجزاء المستعار له، وإنما صرح ببعضه ثم أعطى المساحة للمتلقى كى يكمل تلك الأجزاء المضمرة، ويقف بخياله عليها ،إذ إنها مستترة وراء ستار شفيف يكاد يراها من يمعن النظر .

ومن الشواهد الدالة على هذا الموضع دلالة بينه قول الله . ﷻ ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾.(٣)

ففى قوله تعالى :﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ استعارة تمثيلية، صرح فيها ببعض الأجزاء دون البعض، إذ شبهت هيئة المشركين عند خيبة أملهم حين لم يجدوا النعيم الذى تعبوا لأجله مدة حياتهم وقد جاءوا إبانه فى ظنهم فوجدوا عوضه العذاب بحال المرتقي إلى النخلة ليجتني الثمر الذى كدّ لأجله طوال السنة فتقطع به السبب عند ارتقائه فسقط هالكا.(٤)

(١) سورة الصافات الآيات (١٧٦، ١٧٧).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١٩٧/٢٣.
(٣) سورة البقرة آية (١٦٦).
(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٩٧/٢، ٩٨.

وإذا أردنا أن نستعرض أجزاء الاستعارة التمثيلية هنا، وجدناها كثيرة إذ تشتمل الهيئة على سبعة أشياء، كل واحد منها يصلح لأن يكون مشبها بواحد من الأشياء التى تشتمل عليها الهيئة المشبه بها وهى :

(١) تشبيه المشرك فى عبادته الأصنام بالمرتقي نخلة .

(٢) تشبيه النعيم والثواب الذى يعتقده من عبادتها بالثمرة فى أعلى النخلة .

(٣) تشبيه العبادة للأصنام بالحبل الموصل .

(٤) تشبيه العمر بالنخلة فى الطول .

(٥) تشبيه الحرمان من الوصول للنعيم بتقطع الحبل.

(٦) تشبيه الخيبة بالبعد عن الثمرة .

(٧) تشبيه الوقوع فى العذاب بالسقوط المهلك . [١]

وبالرغم من ذلك لم يصرح فى تلك الاستعارة التمثيلية البديعة إلا ببعض الأجزاء وانطوى بعضها الآخر، وجعل ما صرح به دليلاً على ما أضمر وأُخفِى فيه، ومنه قول الله ـ ﷻ ـ: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾[٢]

ففى الآية تمثيل لهيئة تساوى الذين ظلموا من العرب بحظوظ الذين ظلموا من الأمم السابقة، بهيئة الذين يستقون من قليب واحد إذ يتساوون فى أنصبائهم من الماء، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس.[٣] ولذا يقول الزمخشرى: "وهذا تمثيل أصله فى السقاة يتقسمون الماء، فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب"[٤]، وإذا نظرنا الى اللفظ المستعار نجد أنه لم يصرح بجميع أجزاء الصورة، وإنما صرح ببعضها، وأضمر بعضها، فهو معلوم متصور فى ذهن المتلقي . هذا، وهناك

(١) ينظر : التحرير والتنوير ٢/٩٧ ، ٩٨

(٢) سورة الذاريات آية (٥٩)

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ٢٧/٣١

(٤) الكشاف ٤/٤٠٧

نوع آخر من الاستعارة التمثيلية لا يصرح فيها باللفظ المستعار، وإنما يأتى بشىء هو من لوازم الهيئة المشبه بها، ومن ذلك قول الشاعر:[١]

وقـــل لمن لام فى التصـــابى ... خـــل قليلا عن الطـريق

ففى قوله: "خل قليلا عن الطريق" استعارة تمثيلية، حيث شبه حال اللائم له على صبابته وتصابيه الذى يريد أن يحول بينه وبين مايريد، بحال معترض لسائر فى الطريق يريد أن يسده عليه، ويمنعه المرور به .

والمتأمل يلحظ أن حالة المشبه به (اللفظ المستعار) لم تذكر هنا، وإنما ذكر شئ من لوازمها وهو (خل قليلا عن الطريق) . [٢]

ومنه قول الله . ﷻ: ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴾ [٣]

ففى قوله تعالى: ﴿أفأنت تنقذ من فى النار﴾ استعارة تمثيلية حيث شبه حال أولئك الكافرين فى انغماسهم فى موجبات وعيدهم، وما يلزمها من استحقاقهم العذاب، بهيئة ساقط فى النار قد أحاطت به من كل جانب، وقد حذف المركب الدال على الحالة المشبه بها ،ورمز إليه بذكر شىء من ملائمات تلك الهيئة وهو الإنقاذ من النار .

كما أن فى الآية استعارة تمثيلية أخرى، حيث شبه حال النبى –ﷺ– وبلوغ جهده فى إقناعهم بتصديق دعوته، بحال من يحاول إنقاذ ساقط فى النار، بجامع الحال الدالة على إفراغ أقصى الجهد فى كل، ثم حذفت هيئة المشبه، واستعيرت هيئة المشبه به له[٤] .

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب تأليف الشيخ /احمد بن محمد المقرى التلمسانى ١١٠/٥ شرحه وضبطه وعلق عليه وقدم له د /مريم قاسم الطويل و د/ يوسف على الطويل دار الكتب العلمية بيروت .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٣٠٥/١

(٣) سورة الزمر آية (١٩)

(٤) ينظر: الرسالة البيانية ص/٢٥٧

ويدخل تحت هذا النوع من الاستعارة التمثيلية أيضا الأمثال، فإنه لايراد بالمثل تمثيل المستعار له، وإنما يراد به تمثيل حال المشبه بمورد المثل، والمثل يعد من لوازم هذا المورد . فالقائل مثلا : **بيدى لا بيد عمرو** (١)

وهو مثل يقال لمن ينزل بنفسه المكروه مخافة أن ينزله به عدوه، والمثل للزباء قالته لعمرو بن عدى، فالمقصود منه تشبيه حال قائل المثل الذى ينزل المكروه بنفسه مخافة أن ينزله به عدوه، بحال الزباء التى مصَّت السُّمَّ الذى كان فى خاتم لها لتقتل نفسها قبل أن يقتلها عمرو بن عدى، وقالت حينئذ: بيدى لا بيد عمرو، فصارت مثلا، فهذه الكلمة من لوازم الهيئة المشبه بها .

ومن ذلك أيضا قولنا: **الصيف ضيعت اللبن** (٢)

وهو مثل يقال لمن فرط فى شىء وقت إمكان تحصيله، ثم طلبه فى وقت يتعذر الحصول عليه فيه، وأصل هذا المثل أن امرأة شابة كانت تحت شيخ طاعن فى السن ذى ثروة، فزهدت فيه وكرهت معاشرته لضعفه وكبره، فرجته أن يتركها، فلبَّى طلبها، وكان ذلك فى الصيف، ثم تزوجت بعده بشاب فقير، ثم احتاجت اللبن زمن الشتاء، فجاءت إلى زوجها الأول تطلب منه لبناً فلم يجيبها إلى طلبها، وقال لها: الصيف ضيعت اللبن، فصارت مثلا .

وإذا أردنا أن نجرى الاستعارة هنا نقول: شبهت هيئة من فرَّط فى شىء وقت إمكان تحصيله، ثم طلبه فى وقت يتعذر الحصول عليه فيه بهيئة هذه المرأة التى تركت زوجها ذا اللبن الوفير ثم أتت إليه بعد فراقها تطلب اللبن منه، فقال هذه الكلمة، وعليه فهذا المثل ليس هو الهيئة المشبه بها المستعارة لهيئة المشبه، ولكنها من لوازم تلك الهيئة.

---

(١) ينظر: جمهرة الأمثال لأبى هلال الحسن بن عبدالله بن سهيل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكرى ١/ ٢٢٦ ، ٢٣٥ دار الفكر . بيروت.

(٢) ينظر: أمثال العرب للمفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي ص /٥١ تحقيق إحسان عباس الناشر/ دار الرائد العربى ـ بيروت ـ لبنان الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ /١٩٨٣م.

رأينا فى كل ما سبق كيف جاء اللفظ المستعار فى الاستعارة التمثيلية ذا أجزاء متعددة يدل جزؤه على جزء معناه، سواء فى ذلك ما كان مستوعبا لأجزاء المستعار له أو غير مستوعب، سواء ما جاء بطريق التصريح أو الكناية، وهذا مما لاخلاف عليه بين البلاغيين .

لكن هناك نوع من الاستعارة التمثيلية دار حوله الخلاف بينهم وذلك عندما يجئ اللفظ المستعار فيها مفرداً إذ انقسم العلماء حول هذه القضية الى رأيين شهيرين.

آراء العلماء فى التمثيل باللفظ المفرد

بادئ ذى بدء لابد وأن نقرر أن جميع العلماء متفقون على أن الانتزاع من متعدد فى كل من المشبه (المستعار له) ووجه الشبه (الجامع) شرط فى الاستعارة التمثيلية .

ولكن العلماء اختلفوا فى اللفظ المستعار ومجيئه مفردا فى الاستعارة التمثيلية إلى رأيين:

الرأى الاول:

رأى الإمام عبدالقاهر الجرجانى، والزمخشرى، والطيبى، والسكاكى، وسعد الدين التفتازانى، والعصام وغيرهم .

يرى أصحاب هذا الرأى أن التمثيل ما كان وجه الشبه فيه منتزعا من متعدد، وما انتزع طرفاه من متعدد، ويصح أن يعبر عن هذا المتعدد باللفظ المفرد، لأن المراد بالمركب عندهم ليس المعنى المشهور له وهو مادل جزؤه على جزء معناه، ولكنه ما كان منتزعا من متعدد .

ويكفى أن يعبر عن تلك الهيئة بعد انتزاعها من متعدد بلفظ مفرد يدل عليها إجمالا إما بالوضع، أو كثرة الاستعمال، أو قرنية الحال واستدل السعد على ذلك بأمرين:

أحدهما: أن وجه الشبه فى التشبيه التمثيلى ربما كان منتزعا من عدة أوصاف لطرفيه كما فى تشبيه (الثريا) بـ (العنقود) فالواجب فيه تركيب وجهه لا تركيب طرفيه.

الثانى : أن انتزاع وجه الشبه من متعدد فى طرفى التشبيه يوجب تعددا فى كل منهما بحسب المعنى دون اللفظ لجواز أن يعبر عن الامور المتعددة فى كل واحد منها بلفظ واحد.

كقوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ (١)

وفرع على ذلك جواز اجتماع التبعية والتمثيلية(٢).

الرأى الثانى :

رأى الخطيب القزوينى والسيد الشريف الجرجانى:

أن التمثيل مستلزم التركيب المنافى للإفراد، وأن تركيب اللفظ المستعار واجب قطعا، والمراد بالمركب عندهم المعنى المشهور له وهو مايدل جزؤه على جزء معناه، ولذا يقول السيد الشريف: " وقد تبين مما قررناه أن الصواب هو أن طرفى التشبيه التمثيلى مركبان معنى ولفظا، وأن تركيب الطرفين فى الاستعارة التمثيلية واجب قطعاً، ومن توهم خلاف ذلك فقد عدل عن سواء الطريق" (٣)، وفرع على ذلك منع اجتماع التبعية والتمثيلية واستدل السيد الشريف على ذلك بأمور عدة هى:

أحدها:

أن انتزاع وجه الشبه من تلك الأمور المتعددة يستلزم أن يلاحظ كل منها قصدا، فلا يصح أن تكون تلك العدة معبرا عنها بلفظ واحد، فإن الذهن إنما ينتقل من اللفظ الواحد إلى تلك العدة إجمالا بحيث لا يكون شىء منها مقصودا متوجها إليه فى نفسه بحسب تلك الملاحظة الإجمالية، فكيف يتصور انتزاع وجه الشبه منها بحيث يكون لخصوص كل واحد منها مدخل فيه؟

لا يقال: إذا لاحظناها إجمالا فى ضمن لفظ واحد، فلك بعد ذلك أن تلاحظ تفاصيلها وتنتزع منها وجه الشبه.

---

(١) سوره البقرة آية (١٧)

(٢) ينظر : الرسالة البيانية ص /٢٤١ ، والمطول ص /٦١٦ والأطول ٣١٦/٢ ، ٣١٧

(٣) الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم تأليف / السيد الشريف أبى الحسن على بن محمد بن على ص /٣٨٢ قرأه وعلق عليه الدكتور / رشيد أعرضى دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م

لأنا نقول: هى من حيث إنها لوحظت تفاصيلها ليست مدلولة لذلك اللفظ الواحد بل لألفاظ متعددة بحسبها مقدرة فى الإرادة سواء كانت مقدرة فى نظم الكلام أو لا .

الثانى : أن المشبه به مثلا إذا انتزع من عدة أمور فلا يصلح أن ينتزع بتمامه من كل واحد من تلك العدة، لأنه إذا انتزع بتمامه من واحد منها فقد حصل المقصود الذى هو المشبه به فلا معنى لانتزاعه من واحد آخر مرة أخرى، بل يجب على ذلك التقدير أن يكون جزء من المشبه به مأخوذا من بعض تلك الأمور، وجزء آخر من بعض آخر فيلزم تركيبه قطعاً.

الثالث : أنهم قد أطبقوا على أن وجه الشبه فى التمثيل لايكون إلا مركبا، وليس هناك مايوجب تركيبه سوى كونه منتزعا من عدة أمور، فإنهم عرفوا التمثيل بما وجهه منتزع من متعدد فإذا كان انتزاع كل واحد من طرفى التشبيه منها مستلزما لترك يبها؛ لأن المقتضى للتركيب هو الانتزاع من أمور عدة، وخصوصيه كون المنتزع وجه الشبه، أو مشبها به،أو مشبها ملغاة فى ذلك الاقتضاء جزما .

الرابع: استدل بما صرح به الإمام سعد الدين التفتازانى بأن كل واحد من طرفي التشبيه إذا كان حالة منتزعة من أشياء متعددة كان مركباً، وبأن التشبيه المركب لايكون طرفاه إلا منتزعين من أمور متعددة، ثم يقول: إذا ثبت ذلك فلا فرق إذن فى وجوب التركيب بين أن يقال: هذا تشبيه مركب بمركب، وبين أن يقال: هذا تشبيه منتزع من عدة أمور بمنتزع آخر من أمور، أخرى ثم يؤكد كلامه بقوله: وهذا كلام حق لا يحوم حوله شك .

الخامس : أن دلالة المفصل غير دلاله المجمل، فدلالة مفهومي(الحيوان) و(الناطق) هكذا مفصلين ملاحظين، ليسا مفهوم (الإنسان) مجملا لايلاحظ فيه أجزاؤه قصدا، وما استدلوا به فى الآية الكريمة فى قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ

كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾[1].

فلم يعبر فيها عن طريق التشبيه بمفردين، وذلك أن المشبه فيها على تقدير كونها من التشبيهات المركبة هو قصة المنافقين المخصوصة المفصلة فيما تقدم ،والمشبه به هو قصة المستوقد المخصوصة المفصلة فيما بعد، وشيء من هاتين القصتين ليس مفهوما من لفظ مفرد، أما المشبه به فظاهر لأنه غير مفهوم من لفظ (المثل) فى قوله تعالى: ﴿كمثل الذى ﴾ بل من جميع تلك الألفاظ المتعددة، وأما المشبه، فكذلك أيضا لأن المعنى: مثلهم فى إظهار الإيمان وإبطان الكفر إلى آخر القصة فتلك الألفاظ مقدرة فى الإرادة . [2]

رد العصام على السيد الشريف:

رد العصام على السيد الشريف فى قوله: إن التمثيل يستلزم التركيب، وإن المفرد دلالته إجمالية لا تلتفت النفس إلى المتعدد المضمر فى مفهومه قصدا فلا يقدر على انتزاع الصورة منها .

بقوله: إن المفرد وإن كانت دلالته إجمالية إلا أن الإجمال لغرابة تفصيل الهيئة لا يحضر تفاصيلها، ويجعل للعقل وسيلة تفصيلها، ولذلك يكون لهذه الاستعارة شرف وفضل.

رد كذلك العصام على السيد الشريف فى قوله: إن مبنى الاستعارة التمثيلية على التشبيه التمثيلى، وهو لايكون إلا بين طرفين مركبين .

بقوله: إن المعتبر هو التركيب الاعتبارى (المعنوى)، لا التركيب الحقيقى الثابت اللفظى، لأن الانتزاع لا يتبادر منه إلا التركيب الاعتبارى لإخراج المنتزع منه لا تركيبه المنافى للإفراد.[3]

---

(١) سورة البقرة آية (١٧).

(٢) ينظر: الحاشية على المطول ص /٣٨١.

(٣) ينظر: الأطول ٣١٨/٢.

ومن جاء بعد العلامتين (السعد والسيد) منهم من مال إلى جانب السيد كالإمام أبى السعود [١]، بينما مال الأكثر إلى جانب السعد ومنهم العصام، والفاضل اليمنى، والقاضى البيضاوى، والعلامة القونوي، وحكم به غير واحد من الفضلاء .[٢] ومن العلماء من اختار التوقف والتأدب فى حقهما، ولم يتكلم فى الترجيح أصلا كالعلامة الدسوقى .[٣]

الرأى الذى يراه الباحث :

يرى الباحث جواز التمثيل باللفظ المفرد، ولكن ليس على إطلاقه، وإنما اللفظ المفرد الدال على أمور متعددة يمكن أن تنتزع منها هيئة تمثيلية، فإن العبرة بالتركيب الاعتبارى (المعنوى) لا التركيب اللفظى .

كما أن أكثر المتقدمين على القول بجوازه، كالإمام عبدالقاهر الجرجانى، والزمخشرى والطيبى، وسعد الدين التفتازانى، وغيرهم، إذ إنه يفتح بابا جديدا من أبواب البيان، ويبين عن إحدى قدرات وطاقات تلك اللغة الفذة، وكيف أن البيان يأتى على اللفظة المفردة فينفث فيها من سحره فإذا بها حيّة نابضة تجر فى أذيالها عرائس من التصوير والتخييل تحتاج فى لسان قوم آخرين إلى تراكيب طويلة، ولكنها بلساننا توجز هذا الطريق فى لفظةٍ مفردةٍ كاللمح الخاطف الذى يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار .

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم : تفسير أبى السعود لأبى السعود العمادى محمد بن محمد بن مصطفى ٣٧/١ دار إحياء التراث العربى . بيروت

(٢) ينظر: الأطول ٣١٨/٢، والرسالة البيانية ص /٢٤٢ وحاشية الإنبابى ص /٤٥٨ وحاشية القونوى ٤/٣.

(٣) ينظر: حاشية الدسوقى على مختصر السعد لمحمد بن عرفه الدسوقى ٣٩١/٣ تحقيق د/ عبدالحميد هنداوى المكتبة العصرية . بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٧ م / ١٤٢٨هـ.

المبحث الثانى

التمثيل باللفظ المفرد (الفعل)

الأصل أن تكون الاستعارة فى الفعل تبعية، ولذا يقول سعد الدين التفتازانى: "وإن لم يكن اللفظ المستعار اسم جنس فالاستعارة تبعية كالفعل وما يشتق منه مثل: اسم الفاعل والمفعول، والصفة المشبهه وغير ذلك والحروف"(١) .

وإنما كانت الاستعارة فى الفعل تبعية، لأن الاستعارة تعتمد على التشبيه ،والتشبيه يقتضى كون الطرفين موصوفين بوجه الشبه، وإنما يصلح للموصوفية الحقائق أى ألامور المتقررة الثابتة التى تستقل فى نفسها بالمفهومية لا فرق فى ذلك بين اسم العين واسم المعنى، أما ألأفعال فلا تصلح للاستعارة لعدم صحة التشبيه فيها لدلالتها على الزمان الذى لا ثبوت له إلا إذا كانت تابعة لما له ثبات واستقلال وهو مصادرها . (٢)

مثال ذلك قولنا: **نطقت حاله بما هو فيه .**

ففى الفعل (نطقت) استعارة تبعية، لأن المراد بالنطق هنا الدلالة، وإنما صح ذلك لما بينهما من شبه وهو إيصال المعنى إلى الذهن، هذا مما لا خلاف عليه(٣) .

لكن المتأمل المدقق يرى أنه قد يأتى الفعل لا للدلالة على معنى فعل آخر تشابه معه فى جهة جامعة بينهما، ولكن للدلالة على التمثيل والتلويح بصورة

---

(١) مختصر المعانى للفاضل اللبيب /مسعود بن عمر التفتازانى مع الحاشية لشيخ الهند /محمود حسن ١٣٢/٢ مكتبة البشرى ـ كراتشى باكستان الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ /٢٠١٠م.

(٢) ينظر : حاشية الدسوقى ٣٥١/٣ والإيضاح ٨٨/٥.

(٣) حيث شبهت دلالة الحل بالنطق بجامع إيصال المعنى إلى الذهن في كل، ثم استعير النطق للدلالة ، ثم اشتق من النطق بمعنى الدلالة، نطقت بمعنى دلت، على سبيل الاستعارة التبعية في الفعل.

متكاملة يكاد يرسمها أمام الأعين بكل تفاصيلها ودقائقها، ويعكس للمخاطب صورة أعمق وأغزر دلالة وأكثر إيحاء.

ومن ذلك قول أبى عطاء السندى: (١)

ذكرتك والخطى يخطر بينـــنا ... وقد نـهلت منا المثقفة السُّـمرُ

فإذا تاملنا الفعل (نهلت) فى هذا البيت رأيناه يرسم صورة متكاملة الأجزاء أغزر من أن تكون تبعية فقط، حيث شبهت هيئة الرماح السوداء وهى تختلف بالطعن بينهم فتصيب من دمائهم الشيء الكثير

بهيئة إبل عطاش سود وردت الماء فنهلت منه نهلا كثيرا ،بجامع الهيئة الدالة على وجود أجسام سوداء عظيمة تأتى على الشيء فتصيب منه .

ومنه أيضا قولهم: فلان يقرّد (٢) فلانا أى: يتلطف به (٣)

فلا يوجد فى الصورة التمثيلية هنا سوى الفعل وقد كان كافيا فى الدلالة على الصورة دلالة قوية، حيث شبهت هيئة من يتلطف بآخر ويأخذه باللين فيهدأ أو ينقاد له بهيئة من ينتزع القراد من البعير ليلتذ بذلك فيسكن ويثبت فى مكانه حتى يتمكن من أخذه، بجامع الهيئة الدالة على تطويع الشيء العسير بالأمر اليسير فى كل .

لقد استطاع الفعل (يقرّد) أن يحضر أمامنا الصورة متكاملة بكل دقائقها وتفاصيلها بالرغم من أنه لفظة منفردة . ومن ذلك قول الشاعر: (٤)

---

(١) ينظر : شرح ديوان الحماسة لأبى على احمد بن الحسن المرزوقى الأصفهانى ٤٤/١ المحقق غريد الشيخ وضع فهارسه العامة /إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الاولى ١٤٢٤هـ

(٢) يقال قرَّدالبعير: انتزع قراده، وقرَّد صاحبه :خدعه متلطفاً ينظر : لسان العرب مادة : قرد.

(٣) ينظر : الإيضاح ١٠٩/٥ ، ١١٠

(٤) ديوان أبى دهبل الجمحى روآية الزبير بن بكار ص/٥٨ تحقيق/غازى مختار طليمات ومحمد محى الدين مينو الناشر دار قنديل للطباعة – دبى الطبعة الأولى

واستمطروا من قريش كل منخدع ... إن الكريم إذا خادعته انخدعا

ففى كلمة (استمطروا) استعارة تمثيلية، حيث شبه حالهم عندما سألوا كرماء قريش أن يغدقوا عليهم العطاء والنوال حتى يخفف عنهم شدتهم ومحنتهم، بحال القوم يسألون السحاب نزول المطر حتى يزول قحطهم وجفافهم، بجامع الحال الدّالة على عظم الرجاء بوافر العطاء فى كل .

ومما يدل على ذلك دلالة بينة قول الله . ﷻ - :. ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ﴾ (١)

ف (يمهدون) اى يوطئون والمهد: مهد الصبى وهو موضعه الذى يهيأ له لينام فيه (٢) ،وإذا تأملنا هذه الآية وجدنا أن العمل الصالح جاء فى مقابل الكفر للدلالة على أن الكفر لا ينفع معه العمل، وأن الإيمان لابد وأن يكون مقرونا بالعمل الصالح، لأن الإنسان ينال الكرامات فى الآخرة على قدر ما قدم لنفسه فى الدنيا من الطاعات والقربات التى يتقرب بها إلى خالقه ومولاه .

ثم إذا تأملنا الاستعارة التى دلّ عليها الفعل (يمهدون) رأيناه يصور هذا المعنى تصويرا كاشفا حيث شبهت حالة المؤمنين فى عملهم الصالح ليلقون الله . عز وجل . فينالون من أنواع الكرامات ما ينالون، بحال من يتطلب راحة رقاده فيوطئ فراشه ويسويه لئلا

يتعرض له فى مضجعه من النتوء أو اليبس ما يستفز منامه، بجامع الهيئة الدّالة على ترتيب الراحة والفلاح على العمل والكفاح فى كل . (٣)

ومن ذلك أيضا ما جاء على مادة المفاعلة غير دال على المشاركة، ومنه قول الله ــ تبارك وتعالى ــ: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ

(١) سورة الروم آية (٤٤)

(٢) ينظر : غريب القرآن لأبى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ٣٤٢/١ المحقق/ أحمد صقر دار الكتب العلمية ١٣٩٨ هـ /١٩٧٨ م ولسان العرب مادة : مهد.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ١١٧/٢١

وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (١)

ترغب هذه الآية المؤمنين فيما به تحصيل نعيم الآخرة، وتحذر من فواته وما يصرف عنه من إيثار زينة الدنيا، ولذا جاء الأمر (سابقوا) على صيغة (فاعل) الذى مصدره المفاعلة، ومعلوم أن تلك الصيغة الأصل فيها الدلالة على المشاركة أى: حصول الفعل من اثنين فأكثر بحيث يفعل أحدهما بصاحبه فعلا، فيقابله الآخر بمثله . (٢)

لكن من يتأمل هذه الصيغة يجد أنها قد جاءت هنا غير دالة على المشاركة، لأنه ليس المقصود أن يسابق المؤمنون بعضهم بعضا فى تحصيل أسباب المغفرة من صوم وصلاة وزكاة وتوبه وغيرها، ولكن المراد تمثيل وتصوير مدى عنايتهم واهتمامهم بها، حيث شبهت هيئة هؤلاء المؤمنين فى تحصيل أسباب المغفرة وحرصهم على الفضائل وعنايتهم بها بهيئة من يسابق غيره إلى غاية فهو حريص أن يصلها أولا . بجامع الهيئة الدالة على إفراغ أقصى الجهد فى سبيل تحقيق الغاية المنشودة (٣)، ولذا يقول البقاعى " افعلوا فى السعى لها بالأعمال الصالحة حق السعى فعل من يسابق شخصا فهو يسعى ويجتهد غاية الاجتهاد فى سبقه. " (٤)

لكن ربما كان القرين فى السباق بطيئا فلا يشترط كى يسبقه المرء إلى أن يفرغ أقصى جهده وطاقته، ولذا جاء الأمر بالمسارعة فى آية أخرى قال تعالى:

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ

(١) سورة الحديد آية (٢١)

(٢) ينظر: شذا العرف فى فن الصرف تأليف / أحمد بن محمد الحملاوى ص /٣٠ ، ٣١ المحقق /نصر الله عبدالرحمن نصر الله مكتبة الرشد . الرياض

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٤٠٧/٢٧

(٤) نظم الدرر ٢٩٢/١٩

﴿ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(١)

ليس المراد بالأمربالمسارعة فى هذه الآية الكريمة أن يسارع المؤمنون بعضهم بعضا إلى أسباب نيل مغفرة الله ورضوانه، ولكن المراد تمثيل مدى حرصهم وعنايتهم بتحصيل تلك الأسباب التى تجعلهم أحرياء برضوان الله . ﷻ ونعيمه المقيم، وذلك حيث شبهت هيئتهم وحرصهم على تحصيل صنوف الخير وعنايتهم ورغبتهم فيها بهيئة من يسارع غيره فى سيره يريد أن يبلغ مقصده قبله، بجامع الهيئة الدالة على الرغبة الشديدة فى تحقيق الغاية المرجوة فى كل.

ولقد تكررت تلك الاستعارة التمثيلية فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم ومن ذلك: قول الله تعالى :﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾(٢)

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾(٣) فجاءت (يسارعون فى الخيرات) تمثيلا لمدى عنايتهم وحرصهم ورغبتهم فى تحصيل صنوف الخير، ولذا يقول صاحب نظم الدرر :" يبالغون فى الإسراع بها مبالغة من يسابق آخر"(٤)، فأشار إلى التمثيل ولوح إليه .

وجاءت (فى) دون (إلى) لما فيها من إيذان بملابستهم للخيرات، وتقلبهم فى فنونها فى طرفى المسارعة وتضاعيفها، بينما جاءت (إلى) مع الجنة والمغفرة

(١) سورة آل عمران الآيات (١٣٣ ، ١٣٤)
(٢) سورة الأنبياء الآيات (٨٩ ، ٩٠)
(٣) سورة المؤمنون الآيات (٦٠ ، ٦١)
(٤) نظم الدرر ٤٧٠/١٢

لأنها منتهى المسارعة وغايتها.[1] هذا، وقد تأتى مادة المفاعلة دالة على المشاركة، وتفيد كذلك التمثيل والتصوير، ومن ذلك قول الحق . تبارك وتعالى ـــــ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[2]

وقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[3]

تتحدث هاتان الآيتان عن المنافقين، وما يعتقدونه من أنهم يستطيعون أن يخدعوا المؤمنين بإظهارهم الإيمان واستبطانهم الكفر .

وإذا تأملنا الفعل (يخادعون) وجدناه جاء على صيغة (فاعل) الذى مصدره (المفاعلة) وتلك الصيغة دالة على المشاركة، أى: حصول الفعل من جانبين، فلم جاء البيان القرآنى بالمخادعة دون الخدع ؟

جاءت (المخادعة) دون (الخدع) فى الآيتين لما تنطوى عليه تلك الصيغة من معنى المشاركة، فأفادت مزيدا من التمثيل للمعنى حيث شبهت هيئة صنيعهم مع رسول الله ـ ﷺ ـ والمؤمنين من إظهار الإيمان واستبطان الكفروصنع الله معهم والمؤمنين بإجراء أحكام الإسلام عليهم، وتركهم وإمهالهم استدراجا لهم مع ما اعد لهم فى الآخرة، ولم يخلهم فى العاجل من فضيحة و إحلال بأس ونقمة ورعب دائم بهيئة المتخادعين على سبيل الاستعارة التمثيلية.[4]

---

(١) ينظر : تفسير أبى السعود ١١٥/٢

(٢) سورة البقرة الآيات (٨ ، ٩).

(٣) سورة النساء الآية (١٤٢).

(٤) ينظر : الكشاف ٥٧٩/١ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبوسعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى ٤٤/١ المحقق / محمد عبدالرحمن المرعشلى دار إحياء التراث العربى . بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ

فرأينا كيف دلت هذه الكلمة (يخادعون) على الصورة التمثيلية بالرغم من أنها لفظة مفردة، إلا أنها كانت كافية فى إحضار الصورة بشتى دقائقها وتفاصيلها، واستطاع المخاطب من خلالها أن يقف على المعنى كاملا، وذلك لأمتلائها وثرائها الدلالى بالرغم من قصرها وإيجازها .

ومن ذلك أيضا قول الله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ (١)

يعتقد من يرى أصحاب الكهف لكثرة تقلبهم وعيونهم المفتحة، ولما ألبسهم الله من الهيبة أنهم أيقاظ، فيمتلأ صدره رعبا وخوفا منهم .

وإذا تأملنا قول الحق: "ولملئت منهم رعبا " نجد أن لفظ (الملء) جاء مصورا وكاشفا عما يعترى المرء عند رؤيتهم، حيث شبه حال قلوبهم وقد تمكن منها الرعب فضل تمكن بحال الظرف وقد امتلأت بالمظروف امتلاء كاملا، بجامع الحال الدّالة على استيلاء الظرف على المظروف فى كل .

ولذا يقول صاحب التحرير والتنوير: "والملء كون المظروف حالا فى جميع فراغ الظرف بحيث لا تبقى فى الظرف سعة لزيادة شئ من المظروف، فمثلت الصفة النفسية بالمظروف ومثل عقل الإنسان بالظرف، ومثل تمكن الصفة فى النفس بحيث لا يخالطها تفكير فى غيرها بملء الظرف بالمظروف، فكان فى (لملئت) استعارة تمثيلية ".(٢)

فلو ذهبت تقيم الاستعارة على أى وجه آخر، فحملتها على التبعية بتشبيه استقرار الرعب وتمكنه فى النفس بالملأ، أو حملتها على المكنية بتشبيه الرعب بشىء مادى ما وفيت بحق المعنى، فكانت الاستعارة التمثيلية الأوفى بحقه، وقد جاء التمثيل فيه بلفظ مفرد وهو (الملء) وكان كافيا فى تصور جميع

(١) سورة الكهف آية (١٨)
(٢) التحرير والتنوير ١٥ /٢٨٢

أجزاء الصورة لأنه يستلزم مظروفا يمتلئ به الظرف، وظرفا يمتلئ بالمظروف، وحدثا وهو الامتلاء .

ومن ذلك أيضا قول الله . تبارك وتعالى . ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١)

فجملة (ختم الله على قلوبهم) جاءت استئنافا بيانيا إذ تعد جواب سائل سأل عن سبب كونهم لا يؤمنون، واستواء النذارة وعدمها فيهم .

والختم حقيقته السد على الإناء والغلق على الكتاب بطين ونحوه مع وضع علامة مرسومة فى خاتم ليمنع ذلك من فتح المختوم، فإذا فتح علم صاحبه أنه فتح لفساد يظهر فى أثر النقش، وقد كانت العرب تختم على قوارير الخمر ليصلحها انحباس الهواء عنها، وتسلم فى مدة تعتيقها من التعرض لشىء من خارجها .(٢) ولما كانت قلوب المشركين قد أغلقها أصحابها عن التأمل والتدبر فى آيات الله . عز وجل والنظر فى الأدلة الناطقة بوحدانيته وربوبيته، شبهت هيئة قلوبهم وإمساكها عن التأمل فى الأدلة، وتصميمها على الكفر، فلا ينفذ لها شىء من أنوار الحق . سبحانه وتعالى . بهيئة آنية قد ختم عليها وسدت، وأحكم غلقاها بالطين فما عاد ينفذ لها شىء من هواء ونحوه بجامع الهيئة الدالة على امتناع انتفاع الشئ بما أعد له بسبب مانع شديد لديه . (٣)

والناظر فى الهيئة المشبه بها المستعارة لهيئة المشبه يلحظ أنه لم يصرح بشىء منها إلا بجزء واحد من أجزائها وهو (الختم)، ولكنه لما كان كافيا فى تخيل باقى الأجزاء قام بمفرده دليلا عليها .

---

(١) سورة البقرة الآيات (٦ ، ٧)

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٢٥٤/١

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ٢٥٤/١

ولذا يقول الإمام أبوالسعود: " يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من أحداث تلك الحالة المانعة من أن يصل إليها ما خلقت هى لأجله من الأمور الدينية النافعة، وحيل بينها وبينه بالمرة، بهيئة منتزعة من محال معدة لحلول ما يحلها حلولا مستتبعا لمصالح مهمة، وقد منع من ذلك الختم عليها، وحيل بينها وبين ما أعدت لأجله بالكلية، ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبه بها، فيكون كلٌ من طرفي التشبيه مركبا من أمور عدة، قد اقتصر فى جانب المشبه به على ما عليه يدور الأمر فى تصوير تلك الهيئة وانتزاعها وهو (الختم)، والباقى منوى مراد بألفاظ متخيلة بها يتحقق التركيب، وتلك الألفاظ وإن كان لها مدخل فى تحقيق وجه الشبه الذى هو أمر عقلى منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما أعد له بسبب مانع قوى، لكن فى شىء منها على الانفراد ".(١)

فالإمام أبو السعود يقرر أن فى كلمة (ختم) استعارة تمثيلية ،ولكنه مال إلى رأى السيد الشريف فى أنه لابد وأن يكون فى الاستعارة التمثيلية كل من طرفى التشبيه مركبا، فجعل (الختم) بعضا من هذا المركب، والباقى منوى مراد بألفاظ متخيلة.

اما السعد فيرى أن فى كلمة (ختم) استعارة تمثيلية لأن باقى أجزاء الصورة مما يستلزمه لفظ (ختم) فلا حاجة فى أن تكون منوية مراده .

ومثل لفظ (ختم) فى الدلالة على تلك الصورة الاستعارية التمثيلية لفظ (طبع) فهو مرادف له، ومنه قول الله . تبارك وتعالى .: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٨٦ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾(٢)

(١) تفسير أبى السعود ٣٧/١.

(٢) سوره التوبة الآيات (٨٦ ، ٨٧)

وقول الحق . سبحانه .: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ (١)

وقوله . جل شأنه . :﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ (٢)

حيث جاء لفظ (طبع) ليمثل لنا كم أصاب قلوب المشركين والمعاندين من غرور وكبر وصلف أعمى أبصارهم ،وأغلق أفئدتهم بمغاليق ثقيلة منعت عنها كل خير، وسدت كل منافذ النور إليها، وذلك حيث شبه حال قلوبهم وعدم مخالطة الهدى والرشد لها وإمساكها عن التدبر بحال الإناء أو الكتاب المطبوع المختوم بحيث لا يصل إليه من يحاول الوصول إلى داخله، بجامع الحال الدالة على وجود مانع قوى فوق الشيء يحول دون نفاذ شيء إليه . (٣)

وأسند (الختم) و(الطبع) إلى الله تعالى للدلالة على تمكن هذا الختم من قلوبهم، وأنه لا يرجى زواله كما يقال: هذا الأمر خلقة فى فلان، ومجبول ومفطور عليه للإشعار بمدى تمسكه به وأنه لا يتزحزح عنه . (٤)

وكثيرا ما نجد فى القرآن الكريم وصف أعمال الكافرين والمكذبين بالحبط و الإحباط للتمثيل على ضياعها وإبطالها ومن ذلك قول الله . تبارك وتعالى .: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ

(١) سورة النحل الآيات (١٠٧ ، ١٠٨)
(٢) سورة محمد الآية (١٦)
(٣) ينظر : التحرير والتنوير ٢٨٩/١٠ ، ١٠١/٢٦
(٤) ينظر : الكشاف ٥٠/١

فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (١)

و قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾(٢)

فالحبط جاء فى القرآن الكريم تمثيلا لإبطال الأعمال وعدم نفعها، قال ابن الأثير: "هو من قولهم حبطت الدابة حبطا بالتحريك إذا أصابت المرعى طيبا فأفرطت فى الأكل حتى تنتفخ وتموت" . (٣)

هذا هو الأصل، ولكن جاء إطلاقه على إبطال الأعمال وضياع آثارها تمثيلا بذلك الأمر لأن الإبل تأكل الخضر شهوة للشبع فيئول عليها بالموت، حيث شبه حال الكافر الذى يعمل الصالحات لتنفعه فى الآخرة، ثم لم يجد لها أثرا، بحال الماشية التى أكلت من الخضر الطيب ثم لم يعد عليها بالنفع، وأصابها الحبط فماتت بجامع الحال الدالة على مزاولة الشىء النافع رجاء أثره الطيب، ثم لم يكن له الأثر المرجو .(٤)

رأينا فى كل ماسبق كيف كان الفعل قادرا على تمثيل المعنى المراد، وتجليته وإبرازه، فالفعل بالرغم من كونه لفظاً مفردا ليس مركبا من أجزاء إلا أنه لثرائه وامتلائه فى تلك الشواهد كان كافيا فى إحضار الصورة التمثيليه بشتى دقائقها وتفاصيلها.

---

(١) سوره البقرة الآية (٢١٧)

(٢) سورة آل عمران الآيات (٢١ ، ٢٢)

(٣) النهآية فى غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيبانى الجزرى ابن الأثير ٣٣١/١ تحقيق /طاهر محمد الزاوى ومحمود محمد الطناحى دار الكتب العلمية . بيروت ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩م.

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ٣٣٢/٢ بتصرف.

وهذه الأفعال فى تلك الشواهد على رأى السيد الشريف هى أجزاء من التراكيب المجازية، لأنه يرى أن التمثيل لايكون إلابالمركب، وباقى الأجزاء منوية مرادة بألفاظ متخيلة.

أما على رأى السعد ففى تلك الأفعال استعارة تمثيليه،لأنه يرى أنها كافية فى الدلالة عليها وباقى الأجزاء مما يستلزمه تصور تلك الأفعال.

المبحث الثالث

التمثيل باللفظ المفرد (الأسم)

رأينا فى المبحث السابق كيف يأتى اللفظ المفرد (الفعل)، فيقوم مقام تركيب كامل بكل أجزائه ولوازمه ،واستطاع أن يحضر الصورة بكل تفاصيلها الى ذهن المتلقى، ونرى فى هذا المبحث كيف أن (الأسم) كذلك يقوم بتلك المهمة، ويؤدى ذلك الدور،لأن من الألفاظ أسماء ثرية ممتلئة، تريك المعانى المجردة حدائق ذات بهجة، وتقف بك على صورتها المكتمله بأدق تفاصيلها .

وليس كل اسم مفرد صالح للقيام بذلك الدور، ولكن لابد وأن يكون دالا على أمور متعددة،حتى يستطيع الذهن عند ذكره أن يتصورها فينتقل منه إلى هيئه منتزعة مما يدل عليه، ولذا يقول الشهاب الخفاجى : "التشبيه إذا ذكر طرفاه بمفردين يدل كل منها على أمور متعددة كالقصه والحال، إن نظر إلى ظاهره فهوتشبيه مفرد بمفرد، كقولنا: الدنيا خيال باطل، وإن نظر إلى مااشتمل عليه كان تشبيه مركب بمركب بحسب الظاهر."[1] وإذا نظرنا إلى المثال الذى مثل به الشهاب الحقاجى وهو قوله:

الدنيا خيال باطل

وجدنا أن لفظيه مفردان، فمن الممكن أن يقال أن هذا تشبيه مفرد بمفرد، حيث شبهت الدينا بالخيال فى زوالها وسرعه فنائها، ومن الممكن إن تأملنا هذين اللفظين ومايدلان عليه من أمور متعددة استطعنا أن نقف منهما على هيئة مركبة، فيقال:شبهت هيئة الدينا وما فيها من نعيم سريع الزوال، بهيئة خيال جميل براق يخدع الإنسان سرعان مايفيق منه، ووجه الشبه هو الهئيه الداله على وجود شىء براق خادع سريع الزوال.

(١) حاشية الشهاب ٣٧٦/١.

ويقول كذلك سعد الدين التفتازانى: "إن وجه الشبه فى التشبيه التمثيلى ربما كان منتزعا من عدة أوصاف لطرفيه المفردين كما فى تشبيه (الثريا) بـ (العنقود) فالواجب فيه تركيب وجهه لا تركيب طرفيه".(١)

فيقرر الإمام سعد الدين التفتازانى هنا أنه مادام وجه الشبه هيئة منتزعة من متعدد فالتشبيه تمثيلى حتى ولو كان طرفاه مفردين، وذلك لأننا عندما نشبه الثريا بالعنقود، فالمراد تشبيه هيئة الثريا وهى اسم لجملة أنجم مجتمعة بهيئة عنقود العنب، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير فى المرأى.(٢) فإذا تقررهذا الأمر فى التشبيه التمثيلى تقرر كذلك فى الاستعارة التمثيلية، ومن ذلك قول الحق – سبحانه–:

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(٣)

إذا تأملنا قول ربنا: ﴿والله محيط بالكافرين﴾ أدركنا واستشعرنا بعض ما تنطوى عليه من التهديد والوعيد للكافرين المكذبين، إذ أبانت أن قدرته وعلمه سبحانه وتعالى قد أتيا على كل شىء، فلا يفلتهم من قبضته أحد، ولن يغنيهم من قدره حذر.

وجاءت كلمة (محيط) هنا ولم تأت كلمة (عليم) أو (قدير) أو غيرهما، لما تشتمل عليه من تصوير يلفت الأذهان لقدرته . سبحانه . ويجعلها تفكر فى شمول علمه، وهيمنته . جل وعلا . على سائر المخلوقات فليس لأحد منفذ يفلت منه، فهو المحيط بكل شىء قدرة وعلما. تعالى الله عما يشركون.

---

(١) الحاشية على المطول ص /٣٨٠.

(٢) ينظر : جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع المؤلف / أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمى ص/ ٢٣٣ ،٢٤٤ ضبط وتحقيق وتوثيق د/ يوسف الصميلى المكتبة العصرية . بيروت.

(٣) سورة البقرة آية (١٩).

أما التصوير الملفت الذى اشتملت عليه تلك اللفظة فيكمن فيما فيها من استعارة تمثيلية، حيث شبهت الهيئة المنتزعة من شئونه تعالى مع الكافرين بالعلم والقدرة وغيرها بالهيئة المنتزعة من أحوال المحيط مع المحاط، بجامع الهيئة الدالة على شمول العلم والقدرة .

وكما نرى فلفظ (محيط) لفظ مفرد، وهو على رأى السيد الشريف ومن مال إليه العمدة فى انتزاع الهيئة المشبه بها، ولذا اقتصر عليه من طرف المشبه به، والباقى منوى بألفاظ متخيلة يحصل بها التركيب المعتبر فى التمثيل .[١]

أما على مذهب السعد فيرى أن فيه استعارة تمثيلية قد عبر به عن الهيئة بعد انتزاعها .

وقد جاءت هذه الصورة الاستعارية فى موضع آخر وذلك فى قول الحق ـ سبحانه .: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴾ [٢]

أبان الحق سبحانه هنا عن شدة انغماس الضالين فى التكذيب فقال: (بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ) حيث جاء حرف الظرفية (فى) ليبين عن مدى انغماسهم فى التكذيب، واستمرارهم عليه وتمكنه من نفوسهم.

ولما أحاط التكذيب بهم، جاءت إحاطة العذاب لتكون جزاء وفاقا لهم على جرمهم فقال سبحانه: (وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ) حيث شبهت كلمة (محيط) حال اقتدار الله . ﷻ. عليهم وكونهم فى حوزته وقبضته، وهم فى غفلة عن ذلك، بحال الجيش الجرار إذا أحاط بعدوه من ورائه وهو لا يعلم، حتى إذا رام الفرار والإفلات وجده محيطا به، بجامع الحال الدالة على شمول الإحاطة والاقتدار والتمكن فى كل .[٣] لقد وعد الله – ﷻ – من اجتهد من عباده فى فعل

(١) ينظر : تفسير أبى السعود ٥٤/١ بتصرف
(٢) سورة البروج الآيات (١٩ ، ٢٠)
(٣) ينظر : تفسير الكشاف ٧٣٣/٤ ، والرازى ١١٦/٣١ ، والتحرير والتنوير ٢٥٢/٣٠

الخيرات، وقهر نفسه عليها بأنه لن يضيع أجره، لأنه سبحانه لايخفى عليه أحسان محسن فقال . ﷻ: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (١)

ولما كان ترك الثواب على الإحسان لايكون إلا عن جحود للفضيله أو جهل بها،جاء الوصفان (شاكرعليم) لتطمئن نفس كل محسن أنه سينال جزاءه الأوفى عليه. (٢)

وجاءت صفة (العليم) كذلك لتحذر المؤمنين من أن يلحق بأعمالهم الرياء والسمعة، لأنه سبحانه عليم بإخلاص العبد فى عمله، ومجازيه على قدر إخلاصه له .

وإذا تأملنا لفظة (شاكر) وجدناها لفظة مفردة، ومعناها: المظهر للإنعام عليه، وذلك فى حق الله –تبارك وتعالى– محال، فكان ذلك قرينة على أن المراد بها المجاز لا الحقيقة، وقد جاءت هنا تمثيلا للجزاء، حيث شبه شأن الحق– سبحانه–فى جزاء العبد على الطاعه، بحال الشاكر لمن أسدى إليه نعمة،بجامع الحال الداله على تعجيل الثواب وتحقيقه فى كل ،لأن حال المحسن إليه إذا كان من أهل الفضل والجود أن يبادر بشكرالمحسن.(٣)

وقد كان فى التصوير بهذا اللفظ من الترغيب والحث على الطاعه مافيه، وكأن الحق ﷻ يقول لعباده: أنا مع غناي عن طاعة المطيع إلا أنى أجعل لها من الموقع فى القبول عندى بحيث لوصَّح أن أنتفع بها لما ازداد وقعه على ما حصل فأى وعد بعد ذلك فى المثوبة ينتظر أعظم من ذلك؟ (٤)

---

(١) سورة البقرة الآية (١٥٨)

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٦٥/٢

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبى عبدالله بن عمر بن الحسين التيمى الرازى الملقب بفخر الدين الرازى خطيب الرى ١٣٩/٤ دار إحياء التراث العربى ـ بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ

(٤) ينظر: تفسير الرازى ١٣٩/٤

إذا أيقن العبد أن الله . ﷻ . منه قريب يسمع قوله ويرى عمله، ويجيب دعاءه، وليس بينه وبينه واسطة ولا حجاب، ولا ولى ولا شفيع، اطمأن قلبه وعلم أنه إذا توجه الى مولاه فى طلب حاجة فهو القادر على تحصيل رغباته، وتحقيق مقاصده .

قال الله . ﷻ .: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[1]

وإذا تدبرنا كلمة (قريب) وجدنا أن القرب المنسوب إلى الله . ﷻ . يستحيل أن يكون قرباً حقيقيا وهو القرب المكانى، لأنه ممتنع فى حقه . سبحانه . فكان ذلك قرينة على أن المراد به المجاز لا الحقيقة .[2]

والمراد بها هنا وهى لفظة مفردة تمثيل لشأنه سبحانه فى كمال علمه بأفعال العباد، واطلاعه على أحوالهم، وسهولة إجابته لمن دعاه وسرعة إنجاحه حاجة من سأله، بحال من قرب مكانه فإذا دُعِيَ أسرعت تلبيته، بجامع الحال الدالة على سرعة الاستجابة وسهولة التلبية .[3]

ولذا يقول صاحب البحر المحيط :" والقرب المنسوب إلى الله يستحيل أن يكون قرباً بالمكان، وإنما هو عبارة عن كونه سامعا لدعائه مسرعا فى إنجاح طلب من سأله، فمثل حال تسهيله ذلك، بحال من قرب مكانه ممن يدعوه فإنه لقرب المسافة يجيب دعاءه ."[4]

---

(١) سورة البقرة آية (١٨٦)

(٢) ينظر: روح البيان لإسماعيل حقى بن مصطفى الإستنابولى الحنفى الخلوتى المولى أبو الفداء ٢٩٦/١ دار الفكر . بيروت

(٣) ينظر: الكشاف ٢٢٨/١ ، روح البيان ٢٩٦/١ ، وأبوالسعود ٢٠٠/١

(٤) البحر المحيط لأبى حيان محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسى ٢٠٦/٢ المحقق صدقى محمد جميل دار الفكر . بيروت ١٤٢٠ هـ

وقد أخذ صاحب البحر المحيط هذه الكلمة من الزمخشرى، ولكن آثرت الاستشهاد بها لأنها أكثر تفصيلا، وبذلك يكون قد اتفق كل من الزمخشرى وأبو السعود والرازى فى أن بـ كلمة (قريب) استعارة تمثيلية .

لقد ساعد التمثيل على إيصال المعنى فى صورة قريبة يدركها العقل، وتطمئن لها النفس هذا فضلا عما اشتملت عليه الآية من إشارات أخرى كثيرة تجعل قلب العبد يهدأ ويطمئن ومنها أنه قد حذف من اللفظ مايدل على الواسطة فأشار الى قرب العبد من ربه فى مقام الدعاء، ثم إن الحق قد نسب القرب لنفسه ولم ينسبه لعبده إذ لم يأت التعبير (فالعبد منى قريب) للإشارة إلى إسباغ فضله وكرمه ورحمته، كما جاء التأكيد ليخلع من النفس يأسها وقنوطها، كل ذلك من شأنه أن يجعل نفس الداعى تثق فى وعد الله . ﷻ . ويعظم رجاؤها فى قبوله واستجابته للدعاء . سبحانه. (١)

ومن الألفاظ الثرية التى ترسم صورة تمثيلية كذلك لفظة (قائم)، وأصل القيام فى اللغة هو الانتصاب، المضاد للقعود .

وإنما يقوم القائم لقصد عمل لا يتأتى من قعود، فيقوم الخطيب، ويقوم العامل، ويقوم الصانع، ويقوم الماشى، فكان للقيام لوازم عرفية مأخوذة من عوارضه اللازمة، ومنها النشاط فى الأمر، والاهتمام به وبدء مزاولته . (٢)

ومن الممكن أن يلاحظ القيام بلوازمه العرفية فيرسم صورة فى ذهن المخاطب، ومن ذلك قولنا: **سوق قائمة** .

حيث شبهت حال السوق وقد راجت سلعها، وتداول الناس فيها البيع والشراء، بحال قائم على أمره يزاوله ويمارسه، بجامع الحال الدالة على النشاط والمزاولة فى كل .

ومنه كذلك قولنا: شريعة الله قائمة بيننا.

---

(١) ينظر : الرازى ٥/٢١٤ ، والتحرير والتنوير ١٧٩/٢

(٢) التحرير والتنوير ٢٣١/١

حيث شبه حال الشريعة فى العمل بها والانقياد لأحكامها بحال القائم على أمره يزاوله، فينصاع له، بجامع الحال الدالة على المزاولة والاهتمام فى كل.

ومن ذلك فى القرآن الكريم قول الحق . تبارك وتعالى .: ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾(١)

حيث شبه حال هذه الطائفة من أهل الكتاب فى العمل بدينها على الوجه الأحق، بحال القائم على أمر مهم بجد ونشاط لا يفتر، بجامع الحال الدالة على الإتيان بالأمر على الوجه اللائق به، ولذا يقول صاحب التحرير والتنوير . عليه سحائب الرحمة . :" ومعنى (قائمة) أنه تمثيل للعمل بدينها على الوجه الحق" . (٢)

ومنه أيضا قول الله . ﷻ .: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ ﴾ (٣)

حيث شبه حال المهتم بأمر المرأة وشئونها، بحال القائم على أمره يديره ويزاوله لا يفتر عنه، بجامع الحال الدالة على كمال الرعاية والاهتمام فى كل . (٤)

فرأينا كيف استطاعت تلك اللفظة المفردة أن ترسم صورة فى ذهن المتلقى، وتركته يجمع أجزاءها بنفسه، وذلك لما يرتبط بها من لوازم عرفية تلفت الأذهان إليها عند سماعها . (٥)

(١) سورة آل عمران الآية (١١٣)
(٢) التحرير والتنوير ٢٣١/١
(٣) سوره النساء آية (٣٤)
(٤) ينظر : التحرير والتنوير ٣٨/٥
(٥) ينظر : أبوالسعود ١٧٣/٢

هذا، والأمثلة والشواهد على التمثيل بالفظ المفرد (الاسم) كثيرة جدا نذكر بعضا منها هنا على سبيل الإجمال :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾(١)

فذكر العين هنا تمثيل للحفظ والصون والرعاية حيث شبه شأن الله . عزوجل . فى حفظه رسوله . ﷺ . بحال من يراقب الشيء العظيم لديه بعينه ليحفظه، بجامع الحالة الدالة على شدة العناية والحفظ والصون فى كل . (٢)

ومنه كذلك قول الحق . سبحانه .: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾(٤)

فجاء التمثيل بالعين فى كل ذلك دون التعبير بالحفظ أو الرعاية أو الصون للإشعار بالمعية، لأن المرء إذا استشعر معية الله . ﷻ . ومراقبته له واطلاعه عليه استشعر الأمن التام والطمأنينة الكاملة، كما أن التعبير بالعين يشمل النصر والحفظ والتوفيق والهداية والتأييد، فكان أبلغ وأوجز وأدل على الرعاية الشاملة .

ومنه أيضا قول الحق . ﷻ: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ (٥)

فجاء لفظ (اليد) تمثيلا، حيث شبه شأن الحق . سبحانه . فى تصرفه المطلق فى الممكنات الموجودة والمعدومة بالإمداد والتغيير والإعدام والإيجاد، بهيئة

(١) سورة الطور آية (٤٨)
(٢) ينظر : حاشية القونوي ٢٦٣/١٨
(٣) سورة هود آية (٣٧)
(٤) سورة طه آية (٣٩)
(٥) سورة الملك آية (١)

من يمسك الشيء بيده وهو متمكن منه يقلبه كيف يشاء، بجامع الهيئة الدالة على كمال القدرة والتمكن فى كل . (١)

ومنه كذلك ما جاء عن سلمان قال: قال رسول الله . ﷺ "إن ربكم حييٌّ كريم يستحى من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفرا . " (٢)

ففى لفظ (حييى كريم) استعارة تمثيلية، لأن الحياء تغير وانكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاب به أو يذم، وهو محال عليه . ﷻ فكان ذلك قرينة على أن المراد التمثيل، حيث شبه شأن الله . ﷻ . فى تركه تخييب العبد ورد يديه صفرا بحال الكريم الذى يستحى أن يرد يد المحتاج، بجامع الحال الدالة على دوام العطاء وثبوته فى كل . (٣)

ومن ذلك أيضا قول الحق . سبحانه .: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴾(٤) ففى لفظ (مؤصدة) تمثيل لأن المراد بإيصادها عليهم: ملازمة العذاب لهم، واليأس من إفلاتهم منها، ولكن جاء التعبير بالإيصاد لتمثيل صورة ذلك العذاب، فشبهت هيئة جهنم وتسلطها عليهم وإحاطتها بهم، ومكثهم فيها بهيئة السجن الذى أغلقت أبوابه على من فيه من المساجين، بجامع الهيئة الدالة على اللزوم والمكث وعدم الإفلات فى كل .

---

(١) ينظر : روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى لشهاب الدين محمود بن عبدالله الحسينى الألوسى ٤/١٥ المحقق / على عبدالبارى عطية دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ والتحرير والتنوير ١٠/٢٩

(٢) سنن أبى داود لأبى داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدى السجستانى رقم (١٤٨٨) باب الدعاء ٧٨/٢ تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد المكتبة العصرية . صيدا . بيروت

(٣) ينظر : شرح سنن أبى داود لأبى محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى ٩٢٩/١ المحقق أبوالمنذر خالد بن إبراهيم المصرى مكتبة الرشد الرياض الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م

(٤) سورة البلد الآيات (١٩ ، ٢٠)

وجاء التمثيل ليذكرهم بالباب لأن المؤصدة هى الأبواب ففى التذكير به تذكير بالخروج فتزداد حسرتهم .[١]

ومنه أيضا قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [٢] ففى لفظ (لبالمرصاد) تمثيل حيث شبه شأن الله تعالى فى حفظه لأعمال العصاة وعقابهم عليها، بهيئة القاعد على الطريق المترصد المنتظر لمن يسلكها من أصحاب الجناية ليأخذه ويفعل به ما يستحق لأجل جنايته .[٣] ولا شك أن التمثيل فى كل ذلك كان له بالغ الأثر على النفس لما فيه من توضيح المعقول بالمحسوس، مما يجعل الأمر المتخيل متحققا فيقر فى النفس ويؤثر فيها تأثيرا بالغاً قوياً.

<u>ومما له موقع عجيب فى هذا الباب الظرف، وذلك إذا استعمل فى معانيه المجازية</u>

ومن ذلك المعية المجازية كما فى قول الله . ﷻ: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [٤]

فالمعية هنا فى قوله :(أنى معكم) حقيقتها مستحيلة، لأنه قد انعقد الإجماع على أنه سبحانه ليس معنا بالمكان والجهه والحيز [٥]، ومن ثم كان ذلك قرينة على صرف المعية عن حقيقتها الى معنى مجازى لائق بالذات العلية، والمعنى اللائق هنا هو تمثيل العناية والنصر والتأييد، حيث شبه شأن الحق . سبحانه . فى نصره لهم وتأييده إياهم بحال الذى يكون مع آخر يعينه ويساعده

(١) ينظر : التحرير والتنوير ٥٤١/٣٠ ، والرازى ٢٨٦/٣٢
(٢) سورة الفجر آية (١٤)
(٣) ينظر: البيضاوى ٣١٠/٥ وحاشية الشهاب ٣٥٧/٨ وحاشية القونوى ٢٥٧/٢٠ والتحرير والتنوير ٣٢٣/٣٠
(٤) سورة الأنفال آية (١٢)
(٥) ينظر : تفسير الرازى ٤٤٩/٢٩

وينصره، بجامع الحال الدالة على العناية والتأييد، ولذا يقول الطاهر بن عاشور: " والمعية فى قوله: (أنى معكم) معية مجازية، تمثيل للعناية والحفظ والنصر " .(١)

وقد جاءت معية النصر والتأييد والعناية كثيراً فى القرآن الكريم ومنها : قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ (٢)

و قولـــه تعـــالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ (٣)

و قولـه تعـالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (٤).

فالمعية فى كل تلك الآيات جاءت تمثيلا للنصر والتأييد والإعانة، وقد جاء التعبير بها دون تلك المعانى حتى يتمثل المؤمن تلك المعية، فيستشعر القرب من مولاه، فلايخشى أحدا إلاه، ويكون قويا صلبا فى أشد المواقف وأصعبها، وليعلم أن معيه الله- ﷻ- والحياة فى رضاه أهم من النصر ،كما أن التعبير بالمعية يشمل العلم والقدرة والنصر والحفظ والعناية وهذا أدعى لسرعة الامتثال .(٥)

---

(١) التحرير والتنوير ١٤١/٦

(٢) سورة التوبة آية (٤٠)

(٣) سورة المائدة آية (١٢)

(٤) سورة طه الآيات (٤٥ ، ٤٦)

(٥) ينظر : نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبى بكر البقاعى ٤٨/٦ دار الكتاب الإسلامى . القاهرة ، وتفسير أبى السعود ١٥/٣

ومثل المعية المجازية في ذلك العنديه المجازية:

من الظروف المتعددة الاستعمالات فى اللغة (عند)، وهو ظرف مكان للقريب، وقد يخرج من دلالته الحقيقية للتمثيل عن معان أخرى كثيرة ومنها :

(أ) استعمال (عند) للتمثيل عن العلم و الحكم والتقدير :

ومن ذالك قولنا: **هذا عند الشافعى مكروه، وعند ابى حنيفة جائز** فعند هنا لا يراد بها الدلالة على المكان، وإنما الدلالة على ما استقر فى العلم والاعتقاد، فشبهت حال الأمر الذى استقر فى علم الشيخ واعتقاده، فصار متمكناً منه، يعرضه على الناس فى أى وقت يشاء، بحال الشيء الذى استقر عند الإنسان فى مكان قريب منه، يتناوله وقتما يريد، بجامع الحال الدالة على التمكن والاقتدار فى كل . ومما جاءت فيه العندية مرادا بها التمثيل عن العلم والحكم والقضاء فى القرآن الكريم:

قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (١)

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(٢)

و قوله تعالى﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ (٣)

و قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٤)

و قوله تعالى ﴿ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (٥)

وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ﴾ (٦)

---

(١) سورة آل عمران آية (٥٩)
(٢) سورة الأنفال آية (٢٢)
(٣) سورة التوبة آية (٣٦)
(٤) سورة الأنعام آية (١٠٩)
(٥) سورة آل عمران آية (١٦٣)
(٦) سورة البقرة آية (٢٨٢)

وقوله تعالى﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (١)

وقوله تعالى﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا وَكَانَ(٢)

فالمتأمل كل تلك الآيات يلحظ أن العندية جاءت فيها تمثيلا لما قضى الله . ﷻ به وحكم وقدر، وقد جاءت العندية فيها لتبرز تحقق تلك الأمور بجعل ما فى علم الله . سبحانه وتعالى . بمنزلة الموجود المحسوس لتحققه.(٣)

(ب) استعمال (عند) للتمثيل عن التشريف وعظم المكانة :

ومنه قول الحق سبحانه: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾(٤) فالعندية فى الآية عندية مكانة، حيث شبه حال ثواب المتقين، واختصاصه تعالى به وعظم مكانتهم فى الجنات، وما ينالونه من صنوف الكرامات، بحال الشئ النفيس على صاحبه، فيحفظه ويصونه بمكان قريب منه ولا يجعل لغيره يدا عليه، بجامع الحال الدالة على غاية الإكرام والتشريف فى كل . (٥) وقد جاءت فى مواضع كثيرة فى القرآن الكريم منها :

قوله تعالى: ﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٦)

و قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ (٧)

---

(١) سوره النور آية (١٣)

(٢) سورة الفتح آية (٥)

(٣) ينظر : حاشية الشهاب ٢٢٢/٢

(٤) سورة القلم آية (٣٤)

(٥) ينظر :حاشية القونوى على تفسير الإمام البيضاوى لعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفى ٢٤٠/١٩ ضبطه وصححه وخرج آياته / عبدالله محمود محمد عمر دار الكتب العلمية . بيروت

(٦) سورة الأنعام آية (١٢٧)

(٧) سورة البقرة آية (٨٩)

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ (١)

وقوله تعالى﴿ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾(٢)

وقوله تعالى﴿ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ (٣)

وقوله تعالى﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٤)

وقوله تعالى﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾(٥)

وقوله تعالى﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ (٦)

فقد جاءت العندية فى كل تلك الآيات البينات تمثيلا للتعظيم والتشريف وبيان علو المكانة بتشبيه حال الأمر عظيم المكانة عند الحق . سبحانه . بحال الشيء النفيس الغالى على صاحبه، فيجعله فى مكان قريب منه ليكون محل نظره وعنايته، بجامع الحال الدالة على غاية التشريف والإكرام فى كل، ثم استعيرت عند للدلالة على هيئة المشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية باللفظ المفرد .

ومن ذلك أيضا الفوقية المجازية أو الفوقية المعنوية:

الأصل أن (فوق) ظرف للمكان المعتلى على غيره، ويستعمل مجازاً للدلالة على تمثيل زيادة شيء على آخر فى صفة، وتجاوزه تجاوزا ظاهرا . (٧)

---

(١) سورة البقرة آية (١٠١)

(٢) سورة الحديد آية (١٩)

(٣) سورة آل عمران آية (١٩٥)

(٤) سورة الزمر آية (٣٤)

(٥) سورة آل عمران آية (١٩٩)

(٦) سورة البقرة آية (١٠٣)

(٧) ينظر : التحرير والتنوير ٣٦٢/١

و قد استعملت فى عدة معان:

(أ) لتمثيل التفوق فى المرتبة والشرف :

ومن ذلك قولنا: **السلطان فوق الوزير، و الآمر فوق المأمور.**

حيث شبه حال السلطان وكونه أعظم مرتبة وشرفا من الوزير وكذلك الآمر بالنسبة للمأمور بحال الشئ المرتفع فوق ما هو أقل منه وأدنى .

بجامع الحال الدالة على زيادة شيء على آخر فى أمر زيادة ظاهرة، واستعيرت فوق للدلالة على هيئة المشبه به على سبيل الاستعارة التمثيلية . (١)

ومن ذلك قول الحق . تبارك وتعالى .: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢)

حيث شبه حال شرف ذى العلم على غيره من أصحاب العلم، بحال ارتفاع الشئ وعلوه فوق ما هو اقل منه بجامع الحال الدالة على زيادة الشئ على آخر فى أمر زيادة بينة . ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .(٣)

حيث جاءت الفوقية هنا تمثيلا لعلو درجة المؤمنين وسمو مكانتهم فى الآخرة.

وقد أثار هذا المعنى المفاد من الفوقية المجازية سؤالا أجاب عنه الإمام الرازى فقال: "فإن قيل فلان فوق فلان فى الكرامة إذا كان كل واحد منهما فى الكرامة، ثم يكون أحدهما أزيد حالا من الآخر فى تلك الكرامة، والكافر ليس له شيء من الكرامة، فكيف يقال المؤمن فوقه فى الكرامة ؟ يقال: المراد أنهم

---

(١) ينظر : حاشية العدوى على كفآية الطالب الربانى لرسالة ابن أبى زيد القيروانى ٧٧/١ للعلامة المحقق/ على بن أحمد بن مكرم الله الصعيدى العدوى ضبطه وصححه وخرج آياته : محمد عبدالله شاهين دار الكتب العلمية . بيروت

(٢) سورة يوسف آية (٧٦)

(٣) سورة البقرة آية (٢١٢)

كانوا فوقهم فى سعادات الدنيا، ثم فى الآخرة ينقلب الأمر، فالله تعالى يعطى المؤمن من سعادات الاخرة ما يكون فوق السعادات الدنيوية التى كانت حاصلة للكافرين ."[١] فالفوقية مجازية بالنسبة للنعيمين، نعيم المؤمنين فى الآخرة، ونعيم الكافرين فى الدنيا .

(ب) لتمثيل التفوق فى الظهور والانتصار:

ومنه قول الحق . تبارك وتعالى .: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [٢]

فالفوقية هنا هى فوقية الظهور والانتصار، حيث شبه حال ظهور أمر الذين اتبعوا سيدنا عيسى . عليه السلام . وانتصارهم على أعدائهم، بحال الشىء الذى يستعلى فوق الشىء، ويظهر عليه، بجامع الحال الدالة على الغلبة والقهر فى كل.[٣]

ومن الظروف ذات الثراء الدلالى كذلك الظرف (تحت): وهو ظرف مكان، يدل على مكان بالأسفل من غيره، وهو مقابل لظرف المكان فوق. [٤]

وقد يأتى ولا يراد به المكان، وإنما لتمثيل الحكم والتصرف، ومن ذلك قولنا: هذه المرأة تحت فلان . فالمراد بالتحتية هنا الدلالة على وقوعها تحت حكمه وتصرفه، فهى تحتية معنوية مجازية، حيث شبه حال المرأة ووقوعها تحت تصرفه وحكمه بحال الشئ الذى يكون تحت غيره متمكنا منه، بجامع الحال الدالة على التمكن والهيمنة فى كل .

---

(١) تفسير الرازى ٦/٣٧٠

(٢) سورة آل عمران آية (٥٥)

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ٢/٢٦٠

(٤) معجم القواعد العربية المؤلف / عبدالغنى الدقر ص /٢٠٠ دار القلم . دمشق

ثم استعيرت (تحت) للدلالة على هيئة المشبه به على سبيل الاستعارة التمثيلية فى اللفظ المفرد. ومن ذلك فى القرآن الكريم قول الحق . تبارك وتعالى .: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ ﴾ (١)

أى كانت امرأة نوح تحت حكمه وتصرفه وعصمته، وامرأة لوط كانت تحت حكمه وتصرفه وعصمته، وجاء بيان ذلك بالتحتية تمثيلا باللفظ المفرد دالا على هذا المعنى .

كما جاء البيان بالتحتية دون غيرها للإشارة إلى أن كل امرأة من هاتين المرأتين لم تكن متكبرة على زوجها، ولكن الإيمان مسألة اختيارية متروكة لكل إنسان، لا يجبر عليها ولا يرغم . (٢)

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ (٣)

حكى القرآن الكريم هذا القول على لسان فرعون، وهو يقصد أن الأنهار تجرى بأمره وقهره . قال ذلك غروراً واستكبارا . ففى التعبير بالتحتية استعارة تمثيلية، ولذا يقول العلامة القونوى: " أوأمرى فالتحتية معنوية " .(٤)

حيث شبه حال الأنهار وهى تجرى بأمره وملكه وقهره، بحال الشئ الذى يكون تحت غيره فيتمكن منه ويصرفه كيفما شاء، بجامع الهيئة الدالة على الاستعلاء والتمكن والهيمنة فى كل .

---

(١) سورة التحريم آية (١٠)

(٢) ينظر: تفسير الشعراوى (الخواطر) المؤلف / محمد متولى الشعراوى ٤٢٣٢/٧ مطابع أخبار اليوم ١٩٩٧م

(٣) سورة الزخرف آية (٥١)

(٤) حاشية القونوي ٣٣٣/١٧ ، ٣٣٤

وهذا التعبير المصور يشعرنا بمدى امتلاء نفس فرعون بالغرور والاستكبار، وكيف وصل به إلى درجة أن ادعى أن الأنهار تسير وفق مراده، وأنه هو الذى يجريها ويصرفها، وهكذا الكبر والغرور عندما يعمى قلب صاحبه ويصم آذانه، فماعاد يرى احداً سواه، ولا يسمع إلا صوت نفسه .

هذا والمتأمل الظرف واستعمالاته يجد أنه من أكثر الأسماء ثراء وامتلاء ودلالة على الصورة التمثيلية، والمتدبر مواقعه ودلالاته فى القرآن الكريم يجد عجبا، وكذلك يستعمله الناس فى كلامهم بفطرتهم السليمة، ولهم فيه استعمالات رائقة، ولا تستطيع تلك الورقات أن تأتى على جميع دلالاته، ولكنه تنويه وتنبيه إلى هذا الباب عله يجد من يشمر ساعد الجد فى البحث والتنقيب عنه .

المبحث الرابع

التمثيل باللفظ المفرد (الحرف)

أمر غريب حقا يدعو إلى التعجب والدهشة، ويجعل الدارس ينبهر بأمر تلك اللغة الفذة، إنه إحدى طاقاتها وقدراتها الباهرة، أن يكون بها حرف، يقوم مقام صورة تمثيلية بأجزائها المتعددة، ويجعل المخاطب يقف عليها ويتصورها .

سبق وأن تحدثنا فى المبحثين السابقين، عن الفعل وتأديته ذلك الدور، ثم عن الاسم وتأديته ذلك الدور، ورأينا كيف أستطاعا أن يقوما به خير قيام، والآن جاء دور الحرف ليرينا قدرته وطاقته فى الإبانة عن الصورة التمثيلية، وهل يستطيع أن يصنع صنيعهما أم لا ؟

الأصل فى الاستعارة فى الحرف أن تكون تبعية، لأن الاستعارة تعتمد التشبيه، والتشبيه يقتضى كون الطرفين موصوفين بوجه الشبه، وإنما يصلح للموصوفية الحقائق، وهى الأمور المقررة الثابتة التى تستقل فى نفسها بالمفهومية ،لا فرق فى ذلك بين اسم العين واسم المعنى، أما الحروف فهى غير مستقلة بالمفهومية، ولا مقصودة لذاتها، بل ليتوصل بها لغيرها وكون غيرها هو المقصود يمنع من وصفها، ومن الحكم عليها، وحينئذ فلا تصلح الاستعارة فيها إلا إذا كانت تابعة لما له ثبات واستقلال .[1]

وذلك مثل قولنا: **زيد فى نعمة**.

فلا نستطيع أن نجرى الاستعارة فى حرف الجر (فى) إلا إذا شبهنا مطلق ملابسة بين زيد والنعمة، بمطلق ملابسة بين ظرف لمظروف بجامع الإحاطة والشمول فى كل، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات، ثم استعيرت (فى)الموضوعة لجزئى من جزئيات المشبه به إلى جزئى من جزيئات المشبه[2] ، هذا أمر واضح ومقرر بين البلاغيين . هذا، وقد يأتى الحرف

(١) ينظر : الإيضاح ٨٨/٥ وحاشية الدسوقى ٣٥٢/٣

(٢) ينظر : الإيضاح ٩٥/٥

ليرسم صورة كلية تمثيلية، يستطيع المتلقى أن يدركها ويقف عليها فيكون حينئذ كالبرق الخاطف الذى مع سرعته يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار .

ومن ذلك قولنا: **فلان على الحق.**

لاشك أن قولنا (فلان على الحق) تختلف عن قولنا (فلان يقول الحق) أو (فلان محق) لأن الأولى ترسم صورة فى الذهن تجعلك تدرك ثبوت الرجل ورسوخ قدمه فى الحق حيث

شبهت حال هذا الرجل، وثباته على الحق، والسير فى طريقه، بحال الراكب واعتلائه على المركوب، وتمكنه منه والقدرة على تصريفه بجامع الهيئة الدالة على شدة التمكن والثبوت، ثم استعيرت (على) للدلالة على تلك الصورة التمثيلية .

ومن ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾[١]

يقول صاحب الكشاف: "ومعنى الاستعلاء فى قوله: (على هدى) مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه، وتمسكهم به، شبهت حالهم بحال من اعتلى الشئ وركبه ونحوه: هو على الحق وعلى الباطل، وقد صرحو بذلك فى قولهم: جعل الغواية مركبا وامتطى غارب الجهل، واقتعد غارب الهوى ." [٢]

وقال السعد معلقا على كلام الزمخشرى :" ومعنى الاستعلاء (مثل) أى: تمثيل وتصوير لتمكنهم من الهدى، يعنى أن هذه استعارة تبعية تمثيلا، أما التبعية: فلجريانها أولا فى متعلق معنى الحرف، وتبعيتها فى الحرف، وأما التمثيل: فلكون كل من طرفي التشبيه حالة منتزعة من عدة أمور" .[٣]، وبذلك فقد صرح السعد بأنه فى قوله: (على هدى) قد اجتمعت استعارتان تبعية وتمثيلية، ويقال فى إجراء التبعية: شبه مطلق ارتباط بين هدى ومهدى، بمطلق ارتباط

(١) سورة البقرة آية (٥)
(٢) الكشاف ٤٥/١
(٣) االحاشية على المطول ص/ ٣٨٣

بين مستعلٍ و مستعلىً عليه، بجامع التمكن والاستقرار فى كل، فسرى التشبيه من الكليين الى الجزئيات، فاستعيرت (على) الموضوعة لجزئى من جزئيات المشبه به، لجزئى من جزئيات المشبه على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية فى الحرف .

ويقال فى إجراء الاستعارة التمثيلية: شبهت هيئة المؤمنين من الهدى، وثباتهم عليه ومحاولتهم الزيادة فيه، والسير فى طريق الخيرات، بهيئة الراكب المعتلى على المركوب المتمكن من تصريفه، والقادر على إراضته، بجامع الهيئة الدالة على شدة التمكن والثبات فى كل، ثم استعيرت (على) للدلالة على هيئة المشبه به على سبيل الاستعارة التمثيلية باللفظ المفرد .

هذا على رأى السعد ومن تبعه القائل بجواز اجتماع التمثيلية والتبعية، أما السيد الجرجانى فيرى عدم جواز اجتماع التمثيلية والتبعية، وعليه فيرى أن قوله تعالى: (على هدى) يحتمل وجوها ثلاثة :

أحدها:

أن يشبه (الهدى) بالمركوب الموصل إلى المقصد، فيثبت له بعض لوازمه وهو (الاعتلاء) على طريقة الاستعارة بالكناية .

ثانيها :

أن يشبه (تمسك المتقين بالهدى) باعتلاء الراكب فى التمكن والاستقرار وحينئذ تكون فى كلمة (على) استعارة تبعية .

ثالثها :

أن تشبه هيئة مركبة من (المتقين) و (الهدى) و (تمسكهم) به ثابتا مستقرا عليه، بهيئة مركبة من الراكب، والمركوب، واعتلائه عليه متمكنا منه، وعلى هذا، ينبغى أن تذكر جميع الألفاظ الدالة على الهيئة الثانية، ويراد بها الهيئة الأولى، فيكون مجموع تلك الألفاظ استعارة تمثيلية، كل واحد من طرفيها منتزع من، أمور متعددة، فلا يكون فى شئ من مفردات تلك الألفاظ تصرف بحسب هذه الاستعارة، بل هى على حالها قبل الاستعارة فلا يكون هناك حينئذ

استعارة تبعية فى كلمة (على) كما لا استعارة تبعية فى قولك: (تقدم رجلا وتؤخر أخرى)، إلا أنه اقتصر فى الذكر من تلك على كلمة (على)، لأن الاعتلاء هو العمدة فى تلك الهيئة، إذ بعد ملاحظته يقرب الذهن الى ملاحظة الهيئة واعتبارها، فجعل كلمة (على) بمعونة قرائن الأحوال قرينة الدالة على أن الألفاظ الأخر دالة على سائر أجزاء تلك الهيئة مقدرة فى الإرادة، قد دل بها على سائر الأجزاء قصدا، كما قصد الاعتلاء بكلمة (على) . (١)

وهذان القولان يتفقان فى أمرين، ويختلفان فى ثلاثة أمور :

أما الأمران اللذان يتفقان فيهما :

الأول: لابد وأن يكون انتزاع الهيئة من متعدد، لأن الفريقين اتفقا فى أن (على هدى) استعارة تمثيلية .

الثانى: أن هذا المتعدد لايجوز ولايصح أن يصرح به هنا لأنه يغير نظم الكلام.

أما الأمور الثلاثة التى يختلفان فيها :

الأول: السعد يرى أنه يصح اجتماع التمثيلية والتبعية فى وقت واحد بخلاف السيد فيرى أن الاستعارة إما أن تكون تبعية فقط أو أن تكون تمثيلية فقط.

الثانى: السيد يرى أنه لابد وأن يكون اللفظ المستعار الدال على التعدد مركبا من أكثر من شىء، بأن يكون مركبا من عدة ألفاظ إما محققة كلها، أو أهمها، أو عمدتها محقق والباقى منوى مخيل فى الإرادة بلا ذكر، ولايلزم ولايصح التصريح به هنا.

الثالث: (على) على قول السيد حقيقة لا مجاز، لأنها جزء من أجزاء المشبه به قد اقتصر عليها، وحذفت بقية الأجزاء الأخرى .

أما السعد فيرى أنها مجاز لأنها استعيرت من المشبه به للمشبه، ويكون هذا الحرف مع مايدل عليه بالالتزام استعارة تمثيلية، فهى تمثيلية بالمعنى الالتزامى

(١) ينظر : الحاشية على المطول ص/٣٨٥.

وتبعية بالمعنى المطابقى، فالحيثيتان متغايرتان.(١)

وإنما كان حرف الاستعلاء كافيا فى أداء الصورة التمثيلية ومعبرا عنها، لأن الاستعلاء أقوى أنواع تمكن شيء من شىء .

ووجه جعلنا اياها مؤذنة بتقدير مركوب دون كرسى أو مسطبة مثلا، لأن ذلك هو الذى تسبق إليه أفهام العرب عند سماع ما يدل على الاستعلاء إذ الركوب هو أكثر أنواع استعلائهم، فهو الحاضر فى أذهانهم، ولذلك نراهم حين يصرحون بالمشبه به، ويرمزون إليه ما يذكرون إلا المركوب وعلائقه، فيقولون: جعل الغواية مركبا، وامتطى الجهل، واقتعد غارب الهوى.(٢)

ومثل حرف الاستعلاء فى الدلالة على التمثيل حرف الظرفية (فى)، ومنه قول الحق سبحانه: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (٣)

فجئ فى جانب أصحاب الهدى بحرف الاستعلاء المشعر بالتمكن تمثيلا لحال المهتدى بحال متصرف فى فرسه، يركضه حيث شاء، فهو متمكن من شىء يبلغ به مقصده، وهى حاله مماثلة لحال المهتدى على بصيرة، فهو يسترجع مناهج الحق فى كل صوب متسع النظر منشرح الصدر .

وجئ فى جانب الضالين بحرف الظرفية المشعر بشدة التلبس بالوصف تمثيلا لحالهم فى إحاطة الضلال بهم بحال الشىء فى ظرف محيط به لا يتركه يفارقه، ولا يتطلع منه على خلاف ماهو فيه من ضيق يلازمه .(٤)

فانظر كيف كان الهدى حرية واستعلاء وانطلاقا وسعة، وكان الضلال انغماسا فى الوحل، وانحطاطا وضيقا .

---

(١) ينظر: حاشية القونوى ٥٢٩/١

(٢) ينظر: الكشاف ٤٥/١ ، والتحرير و التنوير ٢٤٢/١

(٣) سورة سبأ آية (٢٤)

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ١٩٣/٢٢

ومنه كذلك قول الحق سبحانه :﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ (١)

فجاءت (على) فى جانب أصحاب الهدى تمثيلا لتمكنهم من النور بحال ممتط فرسه ليبلغ به مقصده، وجاءت (فى) فى جانب أصحاب الضلال تمثيلا لإحاطته بهم بحال غارق منغمس فى غمرات الوحل والطين .

وكما كانت (على) أدل على التمكن، فإن (فى) أدل على التلبس والتعلق: وذلك لما فيها من دلالة على الظرفية الدالة على شدة التعلق، لأن الظرفية أشد أنواع تعلق وتلبس شىء بشىء، ومن ثم كان التعبير بها يستحضر فى الذهن صورة مكتملة من الظرف والمظروف، والتلبس.(٢)

ولنا أن نتأمل قول الحق . سبحانه .: ﴿ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ (٣)

حيث جاءت (فى) لتشعرنا بانغماس أولئك فى الضلال، وإحاطته بهم من كل جانب، فحالهم كحال الذى انغمس فى بئر مظلمة عميقة جدا فهى محيطة به من كل جانب، لا يستطيع أن يرى أو يسمع منها شيئا .

ومن تلك الحروف الثرية، والكلمات الممتلئة (لعل):

وهى كلمة لإنشاء توقع أمر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الأول وهذا الأمر إما أن يكون محبوبا فيسمى ترجيا، نحو: لعل الله يرحمنا، أو مكروها، فيسمى إشفاقا، نحو: لعل العدو يقدم . (٤)

---

(١) سورة الزمر آية (٢٢)

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٣٤٤/٢

(٣) سورة الزخرف آية (٤٠)

(٤) ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لابن عقيل عبدالله بن عبدالرحمن العقيلى الهمدانى ٣٤٦/١ المحقق / محمد محى الدين عبدالحميد دار إحياء التراث . القاهرة دار مصر للطباعة سعيد جودة السحار وشركاه الطبعة العشرون ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م

والترجى قد يعتبر تحققه بالفعل إما من جهة المتكلم، كما فى قولنا: لعل الله يرحمنى وهو الأصل الشائع فى الاستعمال، لأن معانى الانشاءات قائمة به . وإما من جهة المخاطب، تنزيلا له منزلة المتكلم فى التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما فى قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[١] أو إطماعا له تقول للقاصد: لعلك تنال بغيتك، والإطماع معنى مجازى للرجاء، لأن الرجاء يلزمه التقريب، والتقريب يلزمه الإطماع، فالإطماع لازم بمرتبتين[٢]، وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز إيذانا بأن ذلك الأمر فى نفسه مئنة للتوقع، متصف بحيثية مصححة له، من غير أن يعتبر هناك توقع الفعل من متوقع أصلا .[٣]

وذلك مثل قول الله . ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [٤]

فالمتأمل (لعل) فى هذه الآية الكريمة، يجد أنها واقعة فى كلام الله تعالى، ومعناها الترجى، وهذا يقتضى عدم الجزم بوقوع المرجو عند المتكلم، لأن للشك جانباً فى معناها، حتى قال الجوهري: " لعل كلمة شك ." [٥] فإن روعيت فى الآية جهة المتكلم يستحيل إرادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب، لأنه لا يناسب علم الله بأحوال العباد قبل وقوعها، فكان ذلك قرينة على أن المراد بها المجاز .[٦] ولذا يقول صاحب الكشاف: " لعل فى

---

(١) سورة طه آية (٤٤)

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٣٣٠/١

(٣) ينظر : أبوالسعود ٥٩/١

(٤) سورة البقرة آية (١٨٣)

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي باب اللام فصل اللام (لعل) تحقيق / أحمد عبدالغفور عطار دار العلم للملايين . بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧ م

(٦) ينظر: أبو السعود ٥٩/١.

الآية موقع المجاز، لا الحقيقة، لأن الله تعالى خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف، وركب فيهم العقول والشهوات، وأزاح العلة فى أقدارهم وتمكينهم، وهداهم النجدين، ووضع فى أيديهم زمام الاختيار، وأراد منهم الخير والتقوى فهم فى صورة المرجو منهم أن يتقوا ليترجح أمرهم، وهم مختارون بين الطاعة والعصيان، كما ترجحت حال المرتجى بين أن يفعل، وأن لا يفعل." (١)

فصرح الزمخشرى أن (لعل) واقعة موقع المجاز، وأشار إلى أن هذا المجاز استعارة تمثيلية .

ويقال فى إجراء تلك الاستعارة على مذهب السعد: شبه شأن المولى . ﷻ حين هيأ لعباده أسباب الهداية وطلبه إياها منهم، وهم متمكنون منها جامعون لأسبابها، وأرشدهم إلى مناط السعادة فى الدارين بحال من يسعى لإرشاد جماعة، فيطلب منهم شيئا سهل المنال، فيعظم رجاؤه فى تحصيلهم الأمر المرجو لتحقيق فلاحهم، بجامع الحال الدالة على أن الأمر فى نفسه جدير بالرجاء، ثم استعيرت (لعل) للدلالة على هيئة المشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية باللفظ المفرد، وذلك لأنها تستلزم ترجيا ومرتجيا، ومرتجيا منه.

وفى (لعل) على مذهبه استعارة تبعية أيضا، حيث شبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مئنة لها لتعاضد أسبابها ، بالترجى، بجامع تعلق كل منهما بمن يتأتى منه الفعل والترك مع رجحان ما لجانب الفعل، فسرى التشبيه من الكليين للجزئيين، فأستعيرت (لعل) من الثانى للأول على سبيل الاستعارة التبعية .(٢)

أمّا السيد فيرى أن (لعل) تحتمل أحد وجوه ثلاثة، الاستعارة التبعية وقد سبق بيانها، أو المكنية، بتشبيه التقوى بالأمر المترجى حصوله، أو التمثيلية فقط، بتشبيه الهيئة المركبة المنتزعة من (المريد) و (المراد منه) و (والإرادة)،

(١) الكشاف ٩٣/١.

(٢) ينظر: حاشية الإنبابى ص/٤٠٣.

بالهيئة المركبة المنتزعة من (المرتجى) و (المرتجى منه) و (الترجى)، فيكون المستعار مجموع الألفاظ الدالة على الهيئة المشبه بها، وقد صرح فيها بما هو العمدة فى انتزاع الهيئة المشبه بها، وهو كلمة الرجاء (لعل)، والباقى منوى بألفاظ متخيلة .[١] وجاء الرجاء دون التعليل مع أنه سيق مساقه ترغيبا وحثا على الإخلاص فى الطاعة لتحصيل التقوى، لأن العبد إذا امتثل أمر ربه وأخلص فى عبادته لخالقه يكون حاله حالَ من يرجى له أن يكون فى مأمن ووقاية من عذاب الله . [٢]

كما أن فى الرجاء إشعاراً بالإبهام الذى يدل على أن فيهم من لا يخلص فى أداء الفرائض، فلا تؤتى ثمراتها فى القلب وهى التقوى .

كما أن فى الرجاء تحذيراً من تفويت هذه الفرصة العظيمة، لأنهم أقرب ما يكون إلى التقوى، فلا يمنعهم ولا يبعدهم عنها سوى اختيارهم وأنفسهم وشهواتهم .

وقس على ذلك كل ما جاء من (لعل) الواقعة فى كلام الله . عزوجل . لأن كل ما كان فى حق الخلق ترددا، فهو من الله . سبحانه وتعالى . إبهام لمعلومه فيهم .[٣]

ومثل (لعل) فى ذلك (عسى)، لأن عسى فى كلام العرب للرجاء، والرجاء يفيد التوقع ولذا قيل: " وفى الرجاء من معنى التوقع والأمل ". [٤]

---

(١) ينظر : الحاشية على المطول ص / ٣٨٩ ، وأبو السعود ٥٩/١

(٢) ومن ذلك : فى سورة البقرة الآيات (٢١ ، ١٧٩) و آل عمران الآيات (١٢٣ ، ١٣٠، ١٣٢) وسورة الأعراف الآية (٢٠٤) وسورة النور آية (٥٦) وغيرها الكثير .

(٣) ينظم نظم الدرر ٣٦٨/١

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن عبدالرازق الحسينى أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدى مادة (برض) لمجموعة من المحققين دار الهدآية

ومنه قول الله . ﷻ . على لسان أصحاب الجنة: ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴾ (١)

فإذا جاءت فى كلام الله . ﷻ كانت مجازا، لأن التوقع لا يتناسب مع علم الله . ﷻ . الأزلى، فلما كان هذا مستحيلا على العليم . سبحانه . كان قرينة على أن المراد بها المجاز لا الحقيقة .

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (٢)

فعسى هنا مجازية، والمراد بها: تمثيل حال قبول التوبة من هؤلاء، بحال من لا يقطع بقبول توبته، ثم حذفت الحال الأولى، واستعيرت لها (عسى) على رأى من قال بالتمثيل باللفظ المفرد، ومن قال بمنعه قال: صرح بما هو العمدة فى انتزاع الهيئة المشبه بها، وهو كلمة (الترجى) والباقى منوى بألفاظ متخيلة.

وإنما جاء البيان القرآنى بـ (عسى) والله . ﷻ . يتجاوز عن سيئات التائب، ويتفضل عليه، للإشارة الى أن ذلك محض تفضل منه ـ سبحانه ـ، وفيها إطماع فى عفوه، وحض وحث على الإخلاص فى التوبة، والندم على ما سلف حتى تكون أحرى بالقبول وأرجى . (٣)

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ٩٨ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ﴾ (٤)

تتحدث هذه الآية عمن لم يستطع الهجرة من المؤمنين لضعفه وفقره وقلة حيلته، وجاء بيان العفو عنهم مصدرا بكلمة الرجاء (عسى) فمثَّل حال العفو

(١) سورة القلم آية (٣٢)
(٢) سورة التوبة آية (١٠٢)
(٣) ينظر : نظم الدرر ١١/٩
(٤) سورة النساء الآيات (٩٨ ، ٩٩)

عنهم، بحال من لا يقطع بحصول العفو عنه، للإشعار بأن عفوه عن ذنبهم عفو عزيز المنال، وللإيذان بأن الهجرة من تأكد الوجوب بحيث ينبغى أن يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنبا يجب طلب العفو منه، رجاء وطمعا، لا جزما و قطعا، لأن البقاء على إظهار الشرك أمر عظيم وفيه كذلك حث وحض على الهجرة لئلا يتساهلوا اعتمادا على عفو الله . ﷻ . . [1]

(١) ينظر : أبو السعود ٢/٢٢٤ ، التحرير والتنوير ٥/١٧٧

الخاتمـــة

ذاك كان جهد الباحث فى هذا البحث الذى حاول من خلاله أن يكشف النقاب عن إحدى قدرات تلك اللغة وطاقاتها الفذة ألاوهى التمثيل باللفظ المفرد، ويمكن أن نجمل أهم النتائج التى كانت ثمرة تلك الدراسة فيما يلى :

(١)- ذهب كثير من العلماء المتقدمين إلى القول بالتمثيل باللفظ المفرد ولا شك أن القول به يبين عن إحدى القدرات الخبيئة العجيبة لهذه اللغة .

(٢)- جاء التمثيل باللفظ المفرد فى القرآن الكريم كثيرا .

(٣)- دار خلاف كبير بين السعد والسيد حول التمثيل باللفظ المفرد، وكان لكل أدلته القوية، وهذا يبين أن الخلاف الذى كان بين العلماء كان خلافا قائما على الحجة والدليل والبرهان .

(٤)- اللفظ المركب عند السعد هو ماكان منتزعا من متعدد، أما عند السيد فهو ما دل جزؤه على جزء معناه .

(٥)- يأتى التمثيل باللفظ المفرد سواء فى ذلك الاسم والفعل والحرف .

(٦)- للظروف استعمالات متعددة ورائقة فى هذا الباب .

(٧)- إن من أشد ما يعجب ويروق أن يأتى الحرف معربا عن صورة تمثيلية مكتملة بكل دقائقها وتفاصيلها المتعددة .

وبعد، فإنى أسأل الله . ﷻ أن أكون قد وفقت فى عرض هذا الموضوع، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، والله من وراء القصد وهو حسبى ونعم الوكيل.

كما أسأله . سبحانه . الخير كل الخير لآبائنا وأمهاتنا وإخواننا وأخواتنا، وأساتذتنا ومعلمينا، ومشايخنا، وأزواجنا، وذرياتنا، وجميع من لهم حق علينا، إنه سميع قريب مجيب .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

(١) **إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبى السعود** لأبى السعود العمادى محمد بن محمد بن مصطفى دار إحياء التراث العربى بيروت.

(٢) **أسرار البلاغة** تأليف الشيخ أبى بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجانى النحوى قرأه وعلق عليه/ أبو فهر محمود محمد شاكر مطبعة المدنى . القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ /١٩٩١ م

(٣) **الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم** تأليف العلامة إبراهيم بن محمد بن عريشاه عصام الدين الحنفى حققه وعلق عليه / الدكتور عبدالحميد هنداوى دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ /٢٠٠١ م.

(٤) **أمثال العرب** للمفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الصبى تحقيق د/إحسان عباس الناشر / دار الرائد العربى . بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٥) **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** لناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى المحقق /محمد عبدالرحمن المرعشلى دار احياء التراث العربى . بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

(٦) **الإيضاح فى علوم البلاغة** للخطيب القزوينى شرح وتعليق وتنقيح د/ محمد عبدالمنعم خفاجى دار الجيل . بيروت الطبعة الثالثة.

(٧) **تاج العروس من جواهر القاموس** لمحمد بن محمد عبدالرازق الحسينى أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدى لمجموعة من المحققين دار الهداية.

(٨) **التحرير والتنوير** تأليف سماحة الأستاذ الشيخ / محمد الطاهر بن عاشور دار سحنون . تونس.

(٩) **تفسير البحر المحيط** لأبى حيان محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسى المحقق / صدقى محمد جميل دار الفكر . بيروت ١٤٢٠هـ.

(١٠) **تفسير الشعراوى = الخواطر** المؤلف / محمد متولى الشعراوى مطابع أخبار اليوم ١٩٩٧ م.

(١١) **التفسير الكبير = مفاتيح الغيب** لأبى عبدالله بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمى الرازى الملقب بفخر الدين الرازى خطيب الرى دار إحياء التراث العربى . بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ.

(١٢) **التلخيص فى علوم البلاغة** للإمام / جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزوينى المعرف بالخطيب القزوينى دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.

(١٣) **التمثيل والمحاضرة** المؤلف / عبدالملك بن محمد بن إسماعيل أبومنصور الثعالبى المحقق / عبدالفتاح محمد الحلو الدار العربية للكتاب.

(١٤) **جمهرة الأمثال** لأبى هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحى بن مهران العسكرى دار الفكر . بيروت.

(١٥) **جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع** المؤلف / أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمى ضبط وتحقيق د/ يوسف الصميلى المكتبة العصرية بيروت.

(١٦) **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى المسمى عناية القاضى وكفاية الراضى** لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصرى الحنفى دار صادر. بيروت.

(١٧) **حاشية الشيخ محمد الإنبابى على رسالة العلامة الشيخ / محمد الصبان فى علم البيان** المطبعة الأميرية . بولاق . مصر الطبعة الأولى ١٣١٥ هـ.

(١٨) **حاشية الدسوقى على مختصر السعد** لمحمد بن عرفة الدسوقى تحقيق د/ عبدالحميد هنداوى المكتبة العصرية . بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ /٢٠٠٧ م.

(١٩) **حاشية العدوى على كفاية الطالب الربانى لرسالة أبى زيد القيروانى** للعلامة المحقق /على بن أحمد بن مكرم الله الصعيدى العدوى ضبطه وصححه وخرج آياته / محمد عبدالله شاهين دار الكتب العلمية . بيروت.

(٢٠) **الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم** تأليف / السيد الشريف أبى الحسن على بن محمد بن على قرأه وعلق عليه الدكتور /رشدى أعرضى دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ /٢٠٠٧ م.

(٢١) **حاشية القونوى على تفسير الإمام البيضاوى** لعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفى ضبطه وحققه وصححه وخرج آياته / عبدالله محمود محمد عمر دار الكتب العلمية . بيروت .

(٢٢) **الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة** للمؤلف / حمزة بن الحسن الأصبهانى تحقيق / عبدالحميد قطامش دار المعارف . مصر ١٩٧٢ م.

(٢٣) **دلائل الاعجاز** تأليف الشيخ الإمام / أبى بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجانى النحوى قرأه وعلق عليه /أبوفهر محمود محمد شاكر مطبعة المدنى ـ بالقاهرة الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ /١٩٩٢ م.

(٢٤) **ديوان أبى دهبل الجمحى** رواية الزبير بن بكار تحقيق / غازى مختار طليمات ومحمد محى الدين مينو الناشر دار قنديل للطباعة – دبى الطبعة الأولى.

(٢٥) **ديوان الأعشى الكبير** شرحه وقدم له / مهدى محمد ناصر الدين دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

(٢٦) **ديوان الكميت الأسدى** جمع وشرح وتحقيق د / محمد نبيل طريفى دار صادر بيروت . الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م.

(٢٧) **الرسالة البيانية** تأليف الشيخ /أبى العرفان محمد على الصبان تحقيق د/ مهدى أسعد عرار دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠١ م.

(٢٨) **روح البيان** لإسماعيل حقى بن مصطفى الإستنابولى الحنفى الخلوتى المولى أبى الفداء دار الفكر . بيروت.

(٢٩) **روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى** لشهاب الدين محمود بن عبدالله الحسينى الألوسى المحقق / على عبدالبارى عطيه دار المكتبة العلمية . بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.

(٣٠) **سنن أبى داود** لأبى داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشر بن شداد بن عمرو الأزدى السجستانى تحقيق / محمد محى الدين عبدالحميد المكتبة العصرية . صيدا . بيروت.

(٣١) **شذا العرف فى فن الصرف** تأليف / أحمد بن محمد الحملاوى المحقق / نصرالله عبدالرحمن نصرالله مكتبة الرشد . الرياض.

(٣٢) **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** لابن عقيل عبدالله بن عبدالرحمن العقيلى الهمدانى المحقق / محمد محى الدين عبدالحميد دار إحياء التراث القاهرة دار مصر للطباعة . سعيد جوده السحار وشركاه الطبعة العشرون ١٤٠٠ هـ/ ١٩٩٩ م.

(٣٣) **شرح ديوان الحماسة** لأبى على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى الأصفهانى المحقق / غريد الشيخ وضع فهارسه العامة / إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

(٣٤) **شرح سنن أبى داود** لأبى محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى المحقق / أبو منذر خالد بن إبراهيم المصرى مكتبة الرشد . الرياض الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ /١٩٩٩م.

(٣٥) **شرح الطيبى على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن** للإمام / شرف الدين الحسين بن محمد بن عبدالله الطيبى تحقيق / أبو عبدالله محمد على سمك دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٣٦) **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** لأبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى الفارابى تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين . بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

(٣٧) **غريب القرآن** لأبى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى المحقق / أحمد صقر دار الكتب العلمية ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

(٣٨) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل** للإمام / جار الله محمود بن عمر الزمخشرى دار الكتاب العربى . بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ.

(٣٩) **لسان العرب** لابن منظور دار المعارف.

(٤٠) **مختصر المعانى** للفاضل اللبيب / مسعود بن عمر التفتازانى مع الحاشية لشيخ الهند / محمود حسن مكتبة البشرى . كراتشى . باكستان الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م.

(٤١) **مفتاح العلوم** لأبى يعقوب يوسف السكاكى تحقيق د/ عبدالحميد هنداوى دار الكتب العلمية . بيروت ٢٠٠٠ م.

(٤٢) **المطول شرح تلخيص مفتاح** للعلامة / سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى تحقيق د/ عبدالحميد هنداوى دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.

(٤٣) **المنهاج الواضح** د/ حامد عونى المكتبة الأزهرية للتراث.

(٤٤) **نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور** لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبى بكر البقاعى دار الكتاب الإسلامى . القاهرة.

(٤٥) **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** تأليف الشيخ / أحمد بن محمد المفرى التلمسانى شرحه وضبطه وعلق عليه وقدم له د/ مريم قاسم الطويل و د/ يوسف على الطويل دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٧١ م.

(٤٦) **النهاية فى غريب الحديث والأثر** لمجد الدين أبو السعادات المبارك محمد بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيبانى الجزرى بن الأثير تحقيق / طاهر محمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحى دار الكتب العلمية . بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣٨٥
التمهيد	٢٨٩
المبحث الأول: رؤية فنية للاستعارة التمثيلية	٣٩٢
آراء العلماء في التمثيل باللفظ المفرد	٤٠٠
رد العصام على السيد الشريف	٤٠٣
الرأي الذي يراه الباحث	٤٠٤
المبحث الثاني: التمثيل باللفظ المفرد (الفعل)	٤٠٥
المبحث الثالث: التمثيل باللفظ المفرد (الاسم)	٤١٧
الظرف وموقعه الرائق في هذا الباب	٤٢٦
المعية المجازية	٤٢٦
العندية المجازية	٤٢٨
الفوقية المجازية	٤٣٠
التحتية المجازية	٤٣٢
المبحث الرابع: التمثيل باللفظ المفرد (الحرف)	٤٣٥
الخاتمة	٤٤٦
فهرس المصادر والمراجع	٤٤٧
فهرس الموضوعات	٤٥٣